روايات عبير الجديدة

باتي جوردان

ليلة ثم النسيان

www.elromancia.com

مرموزية

روايات عبير الجديدة

ليلة ثم النسيان

بائي جوردان

رونالد؟ هو؟ لا، ليس بعد خمس سنوات، منذ ان غادرت الكاريبي، ليزا تبقى وحدها ابنهما، ابن رونالد، هذا الولد الذي ولد نتيجة الهوى.

لم تنس ليزا ابداً تلك الليلة، لكن رونالد بعد الصدمة لا يتذكر انه مارس الحب مع الامرأة التي ستكون زوجته، واعتبر انها غير مخلصة، وطردها في ليلة عرسها.

لكنه الآن هنا، والده مريض، ويحتاج الى ليزا، ولكن هل يحق لها بالعودة الى سان مارتان، مع هذا الولد الذي رفض ابوته؟ مع انها لا تريد ان تتألم من جديد.

الفصل الاول

عندما قرع الباب، حاولت ليزا ان تتخلص من لفافة الورق التي كانت قد قررت ان تلتف بحب حول جسدها.

ونزلت السيدة الشابة عن السلم، وتأملت تحفتها بعين الرضى، لقد اصبحت اللوحة على وشك الانتهاء، ولكن ما هو الثمن! فهي تشعر بنفسها مرهقة.

ومسحت اصابع يدها ببنطلونها الجينز الذي كانت ترتديه، واسرعت نحو الباب، لا بد انها جارتها! عندما اشترت ليزا هذا البيت الصغير الذي يقع في شرقي لندن لم يكن السكن في مثل هذا الحي الشعبي يكلف مالاً كثيراً.

اليوم كل شيء تغير ولقد بدأت تلاحظ تأفف جيرانها من التكاليف الباهظة، كان جيرانها يعملان في الملابس الجاهزة وكان بول يسافر كثيراً وجانيس تمل كثيراً، وهكذا بعذر او بدون عذر تأتي كل مساء ولا تفارقها.

وهذا المساء كانت ليزا قد اشتغلت جيداً، فهي ترسم

للمجلات ولكتب الاطفال، وكانت تجد صعوبة في التركيز خلال النهار، روبي كان في حديقة الاطفال ولكنه صبي ذكي جداً، وكانت معتادة على العمل حتى في الليل، لان عملها هذا كان هو مصدر رزقها الوحيد.

ظل الباب يدق، فتنهدت ليزا واغلقت باب غرفتها ونزلت الدرج، فتحت الباب كان يدير ظهره بقامته الطويلة، وبغضب ارادت ان تصفق الباب على انف ذلك البائع المتجول قبل ان يبدأ بكلامه المنمق المخادع، لكن الرجل كان سريعاً، وبيديه القوية وأصابعه الطويلة دفع الباب.

وانعكس الضوء المنبعث في الصالون على وجهه، فتراجعت ليزا وصرخت، وكانها ترى شبحاً امامها.

«رونالد».

«نعم، هذا انا» اجابها بايجاز.

لكن نظراته كانت تقول اكثر من ذلك، وعيونه الغريبة، التي لا تزال محتفظة بلونها الازرق التركوازي وتشبه زرقة المياه التي تحيط بجزيرة سان مارتان، واخذ الرجل يتاملها وتوقفت نظراته على بنطلونها الجينز الضيق، ثم على صدرها.

فأحست ليزا وقد تسارعت انفاسها بذلك الاحساس العائلي القوي، وارتبكت فمدت يدها ترفع خصلات شعرها الاشقر محاولة ان تخفي ارتباكها فابتسم الرجل.

«احتفظي بخجلك لمن يتاثر به، فان شعرك ليس غريباً عني».

ماذا ستستفيد من المعارضة! ومن لفت نظره؟ فهذا آخر

ما تفكر به، فهو لا يجهل بأن هذه الحركة العصبية التي قامت بها كانت نتيجة لحنانها الطفولي.

«ماذا تريد يا رونالد؟» سألته ليزا.

«هذا افضل، اريد ان اكلمك، لقد اضعت وقتاً كثيراً في البحث عنك».

«ولماذا كل هذا التعب؟».

ولكن كان هناك سؤال آخر يراودها، سؤال لا تجرؤ على الاجابة عليه.

لماذا نظرة واحدة من هذا الرجل كانت كافية لمحو السنوات الخمس الماضية التي قضتها في تأمين مستلزمات حياتها التي اختارتها منذ ان حطت الطائرة على ارض هيثرو؟.

«لا تعتقدي ان هذا يسليني!» قال رونالد ثم اضاف.

«ألن تدعيني للدخول؟ أم انك تفضلين ان يتجمع الناس حولنا؟».

واشار برأسه نحو النافذة التي تطل منها جارتها، ورغم خوفها، ابتعدت ليزا قليلاً وسمحت له بالدخول الى الصالون.

كان الصالون كغيره من الغرف، وكانت ليزا نفسها هي التي قامت على دهنه باللون البيج والبني، وكانت تغطي الارض سجادة والاثاث بسيطاً يضفي سحراً على جو البيت.

لم يكن اثاث البيت فخماً، ولكن لماذا كان رونالد يلتفت حوله بسخرية؟.

«يا لهذا التقشف» قال اخيراً.

فعضت ليزا على شفتيها، لقد تعبت وقاومت كثيراً في الماضي، فلن تسمح لنفسها بالوقوع مرة ثانية في الفخ.

«ماذا تريد يا رونالد؟» كررت السؤال مرة ثانية.

«ألن تقدمي لي كأساً، فقد جئت الى هنا خصيصاً كي اراك، ولقد بحثت عنك كل الارض والسماء حتى وجدتك؟ لقد حصلت على عنوانك من البنك ولكنك كنت قد ابدلتيه، وخلال هذه السنوات الخمس لم تأخذي ولا مرة واحدة المال الذي كنت ارسله لك لماذا؟».

«لم اكن بحاجة اليه» اجابته ليزا مندهشة من هدوءه وقوته.

«هذا طبيعي، فعشيقك ينفق عليك بسخاء».

بدأ قلبها يدق بسرعة.

«ماذا تعني بذلك؟».

فبعد قليل ستقدم على ارتكاب غلطة، وكان رونالد يتلذذ برؤيتها في حالة الارتباك هذه.

«أوه، لا تخشي شيئاً» بدأ رونالد بالحديث، وهو يتأملها ببرودة جعلتها ترتجف، «لن تبقي غائبة طويلاً على الاقل بعد موت لايت».

موت!... فجأة احست بان الغرفة تدور بها.

«لا!» صرخت ليزا وهي تحس بان غمامة تغطي عينيها.

لايت هوارد... منذ اليوم الذي تزوجته امها، كان يعتبر ليزا وكأنها ابنته هو، كان يحبها كثيراً، ويغنجها لدرجة انها لا تذكر انها احست بمثل تلك السعادة التي كانت تشعر بها

وهي تحت حمايته، وبعد موت والدتها، خففت محبته لها حزنه الشديد، لقد جاء لايت من الكاريب كي يبقى بجانبها، وتوسلت اليه كي يصطحبها معه، فقبل عندما رآها بهذه الوحدة والحزن.

كانت ليزا تكره انكلترا، هذا البلد البارد والرطب، الذي امضت فيه الستة سنوات الاولى من حياتها، وكانت تعيش في مدرسة داخلية، وعندما اصبحت في السادسة عشرة من عمرها كانت تحلم في الكاريب وفي الشمس وفي حب لايت.

«اوه يا الهي! لايت...» منذ خمسة اعوام كانت تحاول الا تفكر به، والآن سيموت.

رفعت رأسها نحو وجه الرجل الذي امامها، الا يحس بأي شعور تجاهه؟ ان لايت هو والده.

«وفري هذا التوتر» قال الرجل مبتسماً، فان لايت ليس موجوداً هنا ولن يراك، وكل ما يطلبه الآن هو وجودك وليس دموعك، اذن؟».

وظل السؤال معلقاً، وبابتسامته الساخرة نهض وهو يتأمل ليزا بطوله الذي يبلغ متراً وتسعين سنتمتراً، وكانت بشرته قد اكتسبت اللون البرونزي في شمس الجزر القوية، وكان شعره الاسود لماعاً.

ذات يوم اعترف له لايت بان الدم العربي المغربي يسري في عروقهم، لقد اعطيت الجزيرة لعائلته في القرن السادس من قبل الملكة اليزابيت الاولى، وتقول الاسطورة ان احد القراصنة القدماء اسر ابنة احد التجار العرب

الاغنياء، واحتفظ بها كغنيمة.

ورونالد بتلاميحه هذه يؤكد هذه القصة وليزا لم تنس ابداً سحره الذي رسمته في خيالها، ولن تنسى ابداً اعجابها بذلك الصبي الغامض المحاط بالاسرار، كان عمره اربعة وعشرين سنة، بينما كانت لا تتجاوز الستة عشرة من عمرها...

«لايت...» تنهدت ليزا محاولة ان تنسى ذكريات الماضي، «ان...».

«بعد قليل من رحيلك» قاطعها رونالد بصوت عميق، اصيب بنوبة قلبية ثم ازدادت حالته سوءاً، وبقي هناك امل واحد، عملية جراحية، احتمال النجاح فيها هو خمسون بالمئة، لكنه رفض ان يسمع الحديث عن هذه العملية، الا اذا رجعت انت».

فعضت ليزا على شفتيها، «رجوعي؟ هذا لا يحتاج الى سؤال؟ لا استطيع».

وبحركة آلية نظرت الى السقف، في الاعلى توجد غرفة روبي، روبي الذي تعتبره كل حياتها، لكنها منذ ولادته ابعدته عن سان مارتان موطنه الاصلي.

«انت لا تستطيعين، ام انك لا تريدين؟ ومهما كان عذرك ستأتين معي».

اضطرت ليزا مرغمة على تحمل نظرته الباردة، لا يزال لديها وسيلة نجاح اخيرة، وبرغم المها لانها لن تستطيع ان ترد على نداء لايت، ستستخدم هذه الوسيلة الاخيرة كي تحمي روبي.

«بأية صفة سأعود بصفتي زوجتك ام بصفتي كنة ابيك».

واعتقدت بسؤالها هذا بأنه لن يجيب، لكنه ابتعد وفهمت من ملامح وجهه انه غاضب جداً.

«زوجتي! انت لم تكوني ابداً زوجتي! اوه، لقد تمت حفلة العرس بالتأكيد، ولكنك كنت تنتمين الى رجل آخر».

«لا اريد الكلام بهذا الموضوع» قاطعته ليزا بصوت متقطع، والآن اخرج من هنا، لو سمحت، فأنا لا ازال احب لايت كثيراً ولكن هذا مستحيل».

«مما تخافين؟ من فقدان عشيقك؟ اذا كان هذا ما يقلقك، فأنا سأعوض عليك... من الناحية المادية فقط، اما جسدياً... فأنا لن ألمسك ولو كنت آخر امرأة في هذا العالم».

ودون ان تشعر رفعت ليزا يدها، لكن رونالد امسكها.

«لا، ليزا» قال هازئاً «قد يكون عشيقك رجلاً ضعيفاً... اما انا فلا».

فتراجعت كالحيوان المذعور، واصطدمت بالحائط، من المستحيل الآن مع هذه الكراهية التي تشتعل في عينيه، وفي ذراعيه اللذين يحيطان بها جيداً، ومن انفاسه التي تلامس شعرها وهو يحاول ان يسطر على هيجانها.

ولكنها رفعت رأسها اخيراً، وكأنها ستواجهه وستتصدى له حتى النهاية.

وشجاعتها ضاعفت غضب رونالد، وكانت ليزا تتنفس بصعوبة وتفكر:

هل يجهل حقاً حقيقة شعورها؟ هل كان يعلم كم كانت تحلم بالزواج منه والانتماء اليه؟ وكم تحطم قلبها...

وكان لهيب انفاسه يصل حتى شفتيها، وفي قرارة نفسها تذكرت امكانيات هذا الفم... وبدون وعي منها فتحت فمها وأحست برموشه الطويلة تلامس خدها، فشحب لونها، واحست بضعف غريب يجتاحها، فتوقفت عن مقاومته، وعادت المشاعر التي كتمتها منذ عدة سنوات اليها من جديد...

فرفعت عينيها نحوه، كان مذهولاً، يتأمل فمها بنظرة جعلتها ترتعد من رأسها حتى اخمص قدميها، ثم وفجأة تركها وتراجع وهو يظهر احتقاره وسخريته.

«أوه، لا!» قال ببطء متعمد، «لست الرجل الذي يلعب دور البديل، وعليك ان تتعلمي ان تسيطري على شهواتك، وفي سان مارتان، لن يكون هناك مايك بيتر، كي يشبع شهواتك هذه».

«للمرة الاخيرة اقول لن اذهب معك» اجابته ليزا.

وبنفس اللحظة سمعت ضجة فتجمدت في مكانها.

«ما هذا؟» سألها رونالد.

فناداها روبي مرة ثانية ففهم رونالد.

«هل احتفظت به؟».

«وماذا ترى؟» اجابته ليزا، وفجأة عادت اليها شجاعتها فأضافت.

«انت لم تكن تريده، ولكني كنت اريده انا، وهذا هو السبب الذي يمنعني من مرافقتك».

ونظرت اليه بتحد وتصميم.

«برغم كل محبة التي تربطني بأبيك... فان روبي سيبقى، فأنا لن اتركه وحيداً هنا».

فأدار رونالد ظهره، لكنها لاحظت توتره، وانتظرت ماذا ستكون ردة فعله.

«اصحبيه معك».

«ولكن... انت قلت... قلت بأنه لن...».

«والدي بحاجة لك... ويبدو لي انه لم يسبب لك اي سوء بعد وفاة والدتك، ويجب عليك الآن ان تردي جميله».

احمر وجهها، كيف ستقاوم هذه الاتهامات؟ ان لايت هو بمنزلة والدها.

«لا استطيع ان ارحل هكذا! امنحني بعض الوقت».

«سأمنحك اربعاً وعشرين ساعة... والافضل لك ان توافقي، لا يزال امامك اسبوع واحد على التلقيح، ثم سنعود معاً إلى سانت مارتان».

نظرت اليه ليزا مذهولة وهو يخرج من الصالون.

«بالمناسبة... انها زوجتي التي ستعود معي».

«وروبي؟ ماذا...».

«نحن متزوجان وروبي هو ابني، وسنبقى هناك، وهذا ما سيسعد ابي».

«ولكن...».

«نحن نعلم بان هذا ليس حقيقياً، أليس كذلك؟... وما من احد يعلم ذلك، حتى مايك اعتقد باني كنت سعيداً

www.elromancia.com

بزواجنا».

«انا لا افهم شيئاً، كان عشيقك ثم تركك تتزوجين مني، حتى انه قبل بالا يمتلك الحق المطلق على افضالك، كم يبلغ عمر... الصغير».

«خمس سنوات تقريباً».

وظنت ليزا ان رونالد يقوم الآن بحسابات سريعة.

«طفل مايك! الطفل الذي كنت حامل به حين تزوجنا! فليلعنك الله».

قال هذه الكلمات وخرج وصفق الباب وراءه بشدة.

فتمالكت ليزا نفسها، وصعدت الى الغرفة التي ينام بها روبي، كان ينام كالملاك، فانقبض قلبها وهي تتأمل براءته وصفائه.

طفل مايك! لم يكن روبي ابداً طفل مايك، لكنه كان طفل رونالد! ورونالد يستمر في انكاره، وكأنه ينكر تماماً انه كان حبيبها.

كان قد نسي قفازاته، فتناولتها ليزا باشمئزاز، ثم تهيأت للنوم. اوه، لماذا عاد رونالد الى حياتها من جديد؟.

كان عمرها ستة عشرة سنة... ولم تنسى ابداً عودتها الى سان مارتان! بعد توقف في سانت ليسي، حلقت الطائرة الصغيرة فوق مياه الكاريب، قبل ان تحط في الباحة القريبة من المنزل.

في تلك الفترة، كان لايت يدير اعمال العائلة، انها سلسلة فنادق فخمة منتشرة في الجزر ولم يكن هناك فندق في سانت مارتان، ولكن هذا المسكن الرائع، بناه

الاسلاف في القرن الثامن عشر، والذين كانوا اغنياء جدا بسبب تجارة السكر، ولحسن الحظ، كانوا يقومون باستثمارات قوية، على عكس جيرانهم في الجزر الاخرى، ولم يكونوا مضطرين لبيعه عندما تغيرت الايام.

كان كل شيء لا يزال كما هو، منذ ان وضعت رجلها على هذه الجزيرة للمرة الاولى وكان عمرها ستة سنوات، وذلك عندما تزوجت والدتها من لايت، وكانت حينها سعيدة جداً، ولكنها هذه المرة عادت الى المنزل، وبعد لحظات تغلبت فرحتها على حزنها لموت والدتها.

ماما كاز، كانت مربية لايت قبل ان تصبح مربية رونالد، وكانت تدير شؤون المنزل، اسرعت ليزا ورمت نفسها بين ذراعيها وهي تبكي بمرارة، كان الجميع هنا يحبون والدتها، بينما زوجة لايت الاولى لم تكن تحظى بهذه المحبة وقد يكون ذلك لانها لم تتوقف عن الندم والاسف على الحياة التي كانت تعيشها في باريس المدينة التي ولدت فيها.

وبهذا الوقت المتأخر وقد اصبحت بالغة الآن واماً بدورها، تتساءل ليزا هل تضايق رونالد عندما رأى والدتها تحتل مكان والدته، انه لم يقل شيئاً وكان اكبر من ان يعتبر نفسه ابنها، لقد كان الشاب يكن لزوجة ابيه نفس المحبة التي كانت تكنها ليزا لابيه لايت.

وبسبب آلامهما المشتركة، كان من الطبيعي ان يتقربا اكثر من بعضهما هي ورونالد، بعد وفاة والدتها، ذات يوم كانت قد اعترفت ماما كاز، لليزا بان اتفاقهما معاً سيدفع

رونالد نحو العزلة.

«لكن لايت والده، يا آنسة ليزا».

ومنذ ذلك اليوم اعتادت ليزا على ان تنسحب بعد العشاء لتترك الوالد وابنه يتكلمان معاً لوحدهما.

لكن رونالد فهم تبدلها، وفاجأها ذات مساء على الشرفة وهي تجلس على الكرسي الهزاز الذي كانت تحب والدتها ان تجلس عليه دائماً، وكانت الدموع تسيل على وجهها.

وخلال العشاء، كان لايت ورونالد يتبادلان بعض الكلمات الفظة، ففهمت ليزا ان رونالد يريد ان يطور عدة فنادق، بينما والده لم يكن راضياً عن اعماله، فتركت العشاء، وكانت اسباب كليهما تبدو لها معقولة، وحجج لايت الذي تشعر بالقرب منه كحجج رونالد، لكن ابتسامته ولونه البرونزي كانا يزيدان دقات قلبها.

الفصل الثاني

وبالتحديد، لم تكن الفتاة قادرة على ذكر اسم امام رونالد.

كانت تحبه منذ مدة طويلة، ولكن هذه المحبة الطفولية تغيرت، ومنذ عودتها، وعندما كان يسبح في الحوض، أو عندما كان يقوم بتمارينه الصباحية، كانت تشعر وكأنها ترى جسده الممتلىء لأول مرة. وكانت عندما تراه بالمايوه الصغير تدير عينيها، ويحمر وجهها خجلاً، وكانت ترغب في ان تلمسه... وان يلمسها، وحتى ان يقبلها....

«ليزا؟».

رغم جسده الرياضي، كان يتنقل رونالد برشاقة، انتفضت ليزا على مقعدها الهزاز، والتفتت نحو الصوت الذي يناديها، كان رونالد يتقدم نحوها، ويمزق الظلام بقميصه الأبيض المفتوح الذي يسمح برؤية رقبته العالية وصدره.

www.elromancia.com

«هل انت على مايرام، ان والدي قلق عليك».

استند على احد اعمدة الشرفة، وكتّف يديه على صدره.

«وأنت؟» سألته ليزا. وقد اثارتها نظرته الوقحة.

«لا... يبدو انك فتاة حساسة اكثر من الفتيات الأخريات، لماذا تأتين الى هنا كل مساء؟».

«كي ادعكما تتكلمان».

كانت تحب ان تتأمل وجهه ويتأمل وجهها! ومنذ عودتها لم يتكلم معها اكثر من جملتين متتاليتين.

«يا لك من حساسة رقيقة»، قال لها بدهشة وبحنان.

«بدون شك قد ورثت هذه الحساسية والرقة عن والدتك، قولي لي يا ليزا، ما هي مشاريعك للمستقبل؟»، وهذا ما لم تكن قد فكرت فيه من قبل! وكأنه قرأ افكارها، اضاف بجدية.

«انك لا تزالين في السادسة عشرة من عمرك: والعالم واسع، فاذا لم تبحثي عن الثروة من الآن. سيفوت الأوان بعد حين».

«يبدو لي ان الحياة في سان مارتان لا تعجبك ابداً». اجابته وهي تشعر بالألم.

وأحست بالدم يتجمد في عروقها. بالنسبة له كما بالنسبة لأبيه الذي لم يتبناها قانونياً. لم تكن شيئاً. وكان يريد ان يذكرها بذلك.

«انا اكبر منك باحدى عشرة سنة، ولقد سافرت كثيراً، وللأسف الأعمال والعائلة تتمسك بي هنا».

«حسناً، لن انسى انني غريبة هنا. ولكن لايت، هو الذي يقرر وليس انت اذا كان باستطاعتي ان ابقى هنا ام لا، و...».

«وهو متمسك بك لأنك تذكرينه بوالدتك. وهذا ما تريدينه؟ اوه، ان الحياة هنا سهلة، وكلنا نعلم ذلك، وانت لا تزالين صغيرة على تلك الحياة واذا لم نحافظ عليها، سينتهي بنا الأمر الى حياة خاملة».

رفعت عينيها نحوه «انت لا تصدقيني؟ انظري حولك ان بنات الجزيرة تصبحن امهات قبل الخامسة عشرة من عمرهن، وانا اعرف عن ماذا اتكلم. الحياة هنا سهلة»، لماذا كان رونالد متحمساً لرؤيتها ترحل عن سان مارتان؟ فهو لا يمكنه ان يكون غيوراً من أبيه.

«ليزا!! رونالد؟».

فالتفتا عندما سمعا صوت لايت. وقبل وصوله، انبعث من عيون الشاب بريق غريب. وبلحظة قصيرة اعتقدت ليزا بأن هذه المقاطعة لنقاشهما اغضبتها، ولكن لا، لقد كانت تتخيل كل هذا.

ظلت كلمات رونالد تتردد في اذني ليزا. وهذا الصباح ايضاً وهي تتنزه على الشاطىء قرب المنزل. وكانت ترتدي بنطلوناً قصيراً من الجينز، وتحمل صندلها بيدها.

«هاي!».

توقفت ليزا ورأت شاباً رياضياً اشقر الشعر تنزل خصل من شعره على جبينه. وبشرته التي لا تزال باهتة تشير الى انه وصل حديثاً الى هذه الجزيرة.

«انا ابحث عن السيد غران. فهل انا في الاتجاه الصحيح؟ سألها الشاب فرحاً. مايك بيتر بخدمتك. واختصاصي دكتور في الطب. واعمل في المستشفى. في كل الأمراض المعروفة في هذه الأيام، حتى الجراحة اذا اقتضى الأمر».

فضحكت ليزا.

«انا عائدة الى المنزل»، اجابته.

«تعالى معي. هل هذا صحيح، اانت الطبيب الجديد؟ لقد اخبرني لايت اننا ننتظر احداً ولكن...».

«ولكنك كنت تتوقعين رجلاً كبيراً له لحية طويلة. وليس شاباً جميلاً كالذي تشاهدينه الآن امامك! على كل، لا تخبري احداً، فأنا لقد تعبت كثيراً حتى حصلت على دبلومي هذا ولكني اسمع في كل لحظة ما يجعلني اظن انني ارتكبت غلطة وهذا ما جعلني انفي نفسي واهاجر الى سان مارتين اوه...».

توقف الشاب فجأة وهو ينظر الى المنزل.

«لا بأس به! فن الهندسة الرائع».

بالتأكيد، ليزا ايضاً تجده رائعاً ايضاً»، هزت راسها، وروت له باختصار قصة الجزيرة.

كانا يجتازان الحديقة عندما خرج رونالد من المنزل. وعندما شاهد ليزا برفقة هذا الشاب، اغتم وجهه.

«رونالد، اقدم لك مايك، الطبيب الجديد».

«صباح الخير بيتر، اجاب رونالد مشيراً بذلك الى انه، كان يعرف بقدومه، ليزا، والدي يريد ان يراك».

«انه اجمل من باب السجن بكثير» قال مايك بعد ان ذهب رونالد، ثم اضاف بعد قليل «عفواً، لا يحق لي ان اتكلم هكذا عن اخيك».

«رونالد ليس اخي بالتحديد»، اجابته فوراً.

اشرق وجه مايك وكأنه اكتشف سر عجيب.

«انا ارى... اسمعي، اذا كنت تريدين ان تدليني الى اتجاه القرية».

«يمكن لبيلي ان يرافقك في الميني موك» اكدت له ليزا، ثم اضافت.

«واذا كان أبي لا يسأل عني، سأرافقك بكل سرور».

«اليس لديك مرضى يا بيتر؟» سأله رونالد بجفاف.

ولم يكن الاثنان انتبها لعودته، ولماذا هذه العدوانية؟» تساءلت ليزا. بعد عشرة دقائق. كان مايك راحل مع بيلي.

«هل لسعتك ذبابة؟» سألته ليزا بغضب.

«المسكين مايك قد شعر بالإهانة!».

«اتنادينه مايك؟ هل فقدت صوابك؟ الم يعلموك في المدرسة ان تكوني حذرة من الغرباء؟» سألها رونالد بلؤم.

«اتريد ان تقول انه لا يجب ان تقبل منهم الحلوى، او ان تصعد في سيارة احد ما؟، عمري ستة عشرة سنة، وليس ستة سنوات، كما وان مايك...» ثم ابتسمت.

«هيا ليزا، لا تقولي لي بأن مايك ملقح ضد الرغبات الجسدية! لقد كان مكتوباً على جبينه انه كان يرغب بك! وهذا لا يدهشني فأنت نداء اغتصاب صارخ».

لم تمنحه ليزا اللذة في رؤيتها تبكي! فملابسها ليست

محتشمة وهي نظيفة وعملية! ان كلام رونالد سخيف.

«كيف تستطيع ان تقول شيئاً كهذا؟ انا ومايك لم نفعل شيئاً سوى الثرثرة، حتى انه لم يحاول ان يقبلني».

«آه، نعم، ولكن الوقت اصبح مناسباً لأن يفعل ذلك احد ما» تمتم رونالد وهو يمسك بيدها.

جذبها نحوه بعنف وضغط عليها بصدره القوي الذي يرتفع مع انفاسه. ثم خبأ وجهه في شعرها.

«لماذا عقد ابي الأمور واعادك الى هنا؟» سألها بانزعاج.

كان يجب على ليزا ان تقاومه وتطلب منه ان يتركها، لكنها احست بالحريق يشتعل في عروقها، فوضعت يدها على عنقه.

«ليزا!».

ثم اطبق فمه على شفتيها وقبلها بحرارة، احست ليزا بأنها تقطع انفاسها.

«افتحي فمك» امرها رونالد بصوت عذب.

لقد سلبها كل ارادتها، فشعرت بأنها تستسلم تحت غارة عاطفية، ولكن هذه الرغبة كانت ممزوجة بالألم والخوف. هل هي مجنونة! ابتعدت عنه واسرعت واختفت في ظل الشرفة.

ما هذه النزوات؟ هل فقدت صوابها؟ انهما كأخ واخت....

كانت ترتعش برغم الحر الشديد، ولمست باصابعها جلدها الذي لامسه رونالد من لحظات. وبين ذراعيه لم

تكن ترغب سوى بأن تذوب فيه، وبأن تصبح جزءاً منه.

فركت اذنيها بيديها كي تستمع الى صوتها الداخلي الذي يصرخ بالحقيقة المخيفة. كانت ترغب في الانتماء له، رونالد الذي لم يكن قد منحها سوى المحبة البعيدة، رونالد الذي كان له خبرة مع النساء ومع العالم.

وبدون شك سيحطم قلبها، اذا علم بأنه قادر على السيطرة عليها بمثل هذه البساطة.

«هذا الشاب بيتر اتصل اكثر من مرة» قال لايت لليزا وهي تبتسم بمكر، «وبعد عدة ايام، يريد ان يرافقك في نزهة بالمركب».

«ليزا لن تذهب مع بيتر، ولا مع اي شخص آخر، اجاب رونالد قبل ان يتسنى الوقت لكي تجيب ليزا. مع ان مياه الكراييب تبدو هادئة الا انها خطرة جداً».

«رونالد على حق» قال لايت بهدوء.

«لماذا لا تذهبين معه؟ فأنت كنت تتحدثين عن رغبتك في الذهاب الى سانت لويس».

«انا لا ارغب في اصطحاب احد معي وخاصة ليزا، فأنا على موعد مع هيلين دنبار» اجاب رونالد بجفاف.

هيلين دنبار! انقبض قلب ليزا هذه الشقراء الساحرة، التي تعيش في سانت لويس حيث تمتلك متجراً فخماً. انها صديقة قديمة، وعمها محام قدير وكانت ليزا تعرف بأن لايت وفي احدى الفترات كان يشك بأن علاقاته مع ابيه لن تبقى ضيقة. ولم يكن يخفي انه يريد ان يراه متزوجاً، ووالداً لعائلة. لكنه لم يكن يحب هيلين كثيراً، والتي لا

www.elromancia.com

تمثل لرونالد سوى اسماً من تلك اللائحة الطويلة من المغامرات.

«ومن قال بأنني ارغب في الذهاب معك!» اجابت ليزا.

«منذ ان عدت، وانت تعامليني وكأنني انسانة سيئة التربية».

«هذا واضح»، قال رونالد ساخراً دون ان يراعي دهشة ابيه، ولا غضب ليزا المتزايد.

نهض وابعد كرسيه.

«علي ان اتصل بالفندق في سانت لويس» شرح رونالد للايت.

«لا تقلقي ابداً»، قال لايت بعد ان ابتعد ابنه. «أنا لا ادري ماذا اصابه هذه الأيام».

«لقد تصرف بوقاحة مع هذا المسكين مايك»، قالت ليزا وهي تحاول ان تنسى تلك المشاعر التي احست بها بين ذراعي رونالد.

«حقاً؟».

«نعم، لقد كان غاضباً لأنه رآني اعود معه من الشاطىء وكأنه يتهمه بأنه كان يريد اغتصابي انا. . . .».

وتذكرت قبلته، فاحمر وجهها. نظر اليها لايت وبدا وكأنه يفكر في اشياء كثيرة.

«هم، رونالد محق، وانا ارى انه يجب عليك ان ترافقيه. ولقد حان الوقت كي تشتري لنفسك ملابساً جديدة.

نظر الى بنطلونها القصير وبلوزتها القطنية.

«نعم، انا لست محتشمة جداً، ولقد عاتبني رونالد كثيراً».

«هذا ما قاله لك؟ ليس هذا هو رأيي، ولكنك بحاجة الى الملابس الخفيفة. ولقد اخبرتني ماما كاز بأنك لم تعودي تلك الفتاة الصغيرة ولم اكن انا قد لاحظت ذلك!».

«وماذا يهم؟ فرونالد يريدك ان تعيدني الى انكلترا» نهض لايت واحاط كتفيها بحنان بالغ.

«يا ابنتي العزيزة، لا ازال انا صاحب الموقف في سان مارتان، ولن ادعك ترحلين فلا تستمعي الى رونالد، فلديه مشاكله هو ايضاً» ثم ابتسم واضاف.

«اذهبي معه الى سان لويس، فيجب على رونالد ان يقوم بجوله على فنادقنا، وستكون هذه فكرة جيدة سترافقينه وتشتري بعض الملابس الجميلة لقد كبرت يا ليزا، ويجب ان يكون لك مكانك بين الكبار».

يا لها من رؤية مستقبلية مغرية! لكن رونالد لا يبدو متحمساً كوالده. ومنذ ان قبلها، لم يعد اي شيء كما كان في السابق. لقد فتحت قبلته عينيها. والآن باتت تعلم ان الحب ليس مجرد حلم رومنطيقي.

كانت ليزا قد لعبت التنس كثيراً مع مايك، ولقد عاد الآن الى المستشفى فصعدت الى غرفتها كي تستحم وترتاح قبل موعد العشاء.

وكان لايت قد ذهب لزيارة صديقه المحامي الذي يعيش في الجهة الاخرى من الجزيرة، والذي يعتبره منافسه الافضل في لعب الشطرنج.

وبينما كانت المياه تنعش جسدها، تذكرت ليزا تلك اللحظة التي وافق في رونالد مساء امس على مرافقتها له الى سانت لويس.

رونالد... ذهلت ليزا، ونسيت ان تفرك جسمها، واحست بالاسترخاء.

رونالد! وتذكرت انها نسيت معطف الحمام على السرير، فخرجت من الحمام ودخلت الغرفة تاركة وراءها أثار اقدامها المبللة، وبينما كانت ترتدي ثيابها فتح الباب فجأة.

«ليزا».

فتسمرت في مكانها عندما سمعت صوت رونالد الجاف، وكانت الصدمة قوية فلم تتمكن حتى من الصراخ، ولكنه كالبرق اقترب منها، واخذ يتأمل بعينيه المتوقدة جسدها الذي لا تزال نقط الماء تتلألأ عليه.

وفجأة كما دخل خرج بسرعة، اصبح بامكانها الآن ان تتنفس بحرية.

لكن جلدها كان يحترق وبدأ العرق البارد يتصبب منها، فلبست معطف الحمام وهي ترتجف، واخذ قلبها يدق بسرعة، ماذا اصابها؟ تبدو وكأنها محمومة، هل هذه على علامات الحب؟.

خلال العشاء لم تكن ليزا تجرؤ على رفع نظراتها نحو رونالد، هل تركت تلك اللحظات القليلة في قلبه نفس الشعور الذي تركته في قلبها؟ انها بالتأكيد ليست المرة الاولى التي يرى فيها جسد امرأة عارية، وهي بنظره لا

تتعدى كونها تلميذة صغيرة.

«هل اخبرت ليزا بأنك ستذهب غداً؟» سأله لايت.

ولم يكن رونالد قد نظر الى الفتاة ابداً.

«لا، ليس بعد، فهل ستكونين جاهزة؟».

«بالتأكيد... ولا تنسى ابداً، اشتري يا ليزا ايضاً كل ما يعجبك»، اجابها لايت، والتفت الى ابنه.

«كم ستبقيان هناك؟».

«يوماً او يومين، كل شيء مرتبط بهيلين، وبالوقت الذي تحتاجه كي تجهز نفسها.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

هيلين! احست ليزا وكأنها تلقت ضربة قوية على قلبها، وحاولت جاهدة ان لا تصرخ، انها الغيرة اذن.

بعد قليل اعتذر رونالد، وكانت تعابير وجهها قد خانتها، لانها لاحظت ان لايت يتأملها.

«ان الحياة قاسية بالنسبه له الآن» قال لايت «انا اذكر عندما التقيت بوالدتك...».

فتعجبت ليزا، ماذا يعني بذلك؟ ألن يتزوج رونالد من هيلين! ولكن كيف وافقت على هذه الرحلة؟ وماذا تنتظر؟ انتظر غير الالم الذي ينتظرها عندما ستراهما معاً؟.

ولكنها لا تريد ان تخيب امل لايت، فنظرت الى ثوبها القطني وتنهدت. ان ملابسها ينقصها الذوق، ولا تتناسب مع ذوق رجل اعتاد على رؤية النساء الانيقات الفاتنات.

وعلى الفطار لم تتوقف ماما كاز، عن النظر اليهما بقلق، لدرجة ان رونالد لم يعد يستطيع ان يتحمل

نظراتها.

«ليس عليها ان تخشى شيئاً، فالدكتور بيتر لن يأتي معنا!» قال رونالد، احست ليزا بان دمها يغلي في عروقها. لكنها نجحت في ان تبقى صامته.

لماذا يكره مايك لهذه الدرجة؟ لقد كانت تتسلى كثيراً برفقته، كان يبدو لها لطيفاً ومهتماً بها وكأنه اخوها...

وفهمت الفتاة فجأة انها لم تكن تشعر ابداً ان رونالد اخوها.

«هل التفكير ببيتر يجعلك حالمه هكذا؟».

فانتفضت ليزا واستندت الى الحائط، فنظر اليها رونالد هازئاً.

«واذا كان الامر كذلك؟» سألته بحدة، وقد قررت ان لا تسمح له ليظن بانه الوحيد الذي يحق له ان يحلم.

«انسيه! انت لن تبقي فتاة صغيرة طيلة حياتك. وعندما ستصبحين امرأة، ستحتاجين الى رجل وليس الى مراهق شاب»، امرها رونالد بصوت حاد، ثم اختفى قبل ان تتمكن من الاجابه.

بعد نصف ساعة. قادها ليون في مركب الى يخت راسياً في الخليج. وكان رونالد قد اشتراه منذ ثلاثة سنوات، وكانت ليزا قد تابعت بحماس واعجاب مراحل اصلاحه وترميمه. كان المركب حينها هيكلاً فارغاً. اما الآن فهو يمخر المياه باجلال، بأشرعته الجميلة. كانت ليزا قد صعدت الى متنه مرات عديدة وكانت تحس فيه بالاطمئنان والامان. ولقد علمها لايت مرة كيف تبحر فيه.

«ان الغرفة الاولى هي غرفتك، لقد رتب ليون اغراضك. فانت لم تنقلي اشياء كثيرة!» اخبرها رونالد وهو يساعدها في الصعود على متن اليخت. وكان رونالد يقف ببنطلونه الجينز القصير الذي يشبه بنطلونها.

«لقد ارسلني لايت كي اجدد ملابسي»، ذكرته الفتاة.

«آه، نعم، انه يأمل بدون شك في ان تساعدك هيلين. انه ليس بالعمل السهل. سأذهب لاحل حبال المركب».

«هل تحتاج لمساعدة»، سألته ليزا محاولة ان تخفي غيظها. فالتفت رونالد نحوها.

«شكراً! انا قادر على تشغيل اللايدي وحدي!».

«اتقصد انه يجب علي ان ابقى في غرفتي في الاسفل حتى تصل الى سانت لويس» سألته وكادت الدموع ان تنهمر على وجهها.

«هذا يسهل الامور اكثر»، اجابها وكان يبدو عليه انه قد لاحظ غضبها.

مرت فترة قبل الظهر ببطء، وكانت ليزا سجينة في غرفتها الصغيرة، تتأمل الامواج. وعند الظهر، كانت قد قررت ان ما من قوة في العالم ستجبرها على البقاء في هذه الغرفة. وكانت قد اقسمت من قبل ان لا تغادر هذه الغرفة الا اذا توسل رونالد على ركبتيه وطلب منها ان تصعد الى السطح. لكن الجوع والملل جعلاها تغير رأيها. حتى رونالد بحاجة الى الطعام الآن، وهو لا يمكنه ان يقود المركب ويأكل بنفس الوقت!

فانتعلت الحذاء المطاطي. وصعدت الى السطح

بهدوء. ولكنها لم تجد اثراً لرونالد. وكان اليخت راسياً يتأرجح فوق الامواج. ولكن اين هو؟ فاحست بالخوف. ولكن كيف لبحار محنك مثله يثق بهدوء البحر؟ قد يكون نائماً...

وكانت ستنزل الى غرفته عندما لمحت خيالاً امامها.

«رونالد!».

واحست بالاطمئنان، لقد كان واقفاً على الجسر، عارياً تحت اشعة الشمس.

«ليزا، كنت اظن انك في غرفتك!».

«صعدت اسألك اذا كنت تريد ان تتناول الغداء»، اجابته ليزا.

«بعد قليل، اريد اولاً ان استحم واغير ملابسي».

لكن ليزا لم تتحرك، فاضاف غاضباً:

«بحق السماء، ليزا انزلي قبل ان اقوم بعمل يصدمك»... وصلا الى سانت لويس قبل الموعد المحدد.

كاستري، كان مرفأ نشيطاً، وكانت هناك باخرة متوقفة في المرفأ، تفرغ حمولتها من السواح.

بفضل ساقيه الطويلين كان رونالد يمر بين الناس بسهوله، بينما كانت ليزا متأخرة عنه تسير وراءه بصعوبة، وعندما وصل الى احد المنعطفات، انتظرها ثم امسك يدها منزعجاً وقد فرغ صبره.

وبطرف عينها، لاحظت طبقة خفيفة من الملح على صدره ورقبته. فتذكرت منظره عارياً على حافة اليخت

عندما صعد من الماء. . . ويبدو عليه انها ليست المرة الاولى التي يسبح فيها عارياً. وعند هذه الفكرة احست وكأن الارض تميل تحت اقدامها. هل يمارس هذه المتعه وحده ام ان هيلين تشاركه احياناً؟.

واخذت تحلم بانها تعوم الى جانبه في مياه بحر الكاريبب الدافئه.

«ليزا!».

واعادها صوته الحاد فجأة الى الواقع. لقد توقفا امام متجر هيلين. التي كانت مشغولة مع بعض السواح، ولكنها لاحظتها.

«هيا بنا الى الفندق اولاً، سنعود لاحقاً» قال رونالد.

ونقلتهما سيارة اجرة الى فندق باراديس كوف اوتيل. انه فندق حديث، مؤلف من عدة اجنحة فخمة ومن البناء الرئيسي الذي يضم المطاعم والبارات، والمحلات.

استقبلها المدير بحرارة. طبعاً فهو يرغب في ان يوحي لرونالد بسرعتهم في تقديم الخدمات للزبائن. وكانوا قد اهتموا بحقائبهما. وبينما كان الرجلان يتحدثان في الصالون عن اعمالهما. تركتهما ليزا وتوقفت امام الواجهات. وكانت احدى هذه الواجهات تعرض ملابس البحر والمايوهات. وواجهه اخرى تعرض مجموعة رائعه من الثياب وادوات التزيين.

فالتفتت ليزا، فوجدت ان رونالد والمدير لا يزالان منشغلين بالحديث. فدفعت باب المتجر ودخلته، وكانت تعلم ان رونالد يريد ان يعهد الى هيلين بمهمة اختيار

ملابسها الجديدة. فتقدمت البائعة نحوها في غرفة القياس تتأمل الملابس الحريرية والقطنية، فاختارت ثوباً من الحرير الازرق، فارتدته، وبدت فيه جميلة جداً، كان لونه الازرق يتناسب مع لون عينيها التي تميل الى اللونين الازرق والاخضر معاً.

ونظرت في المرآة. فاصيبت بالدهشة، ان هذا الثوب يبدو وكأنه صنع خصيصاً لها! وابدت البائعه اعجابها الشديد بها.

«انه يناسبك كثيراً! ولكن لا تقرري قبل ان تجربي الاثواب الاخرى».

فجربت ليزا عدة اثواب، وبعد تردد اختارت الثوب الحريري وآخر قطني، وبنطلون جينز ومايوه بيكيني اعجبها واحمرت وجنتاها عندما جربته امام المرآة.

وبقي معها الكثير من النقود. فأقنعتها البائعة بان تشتري ايضاً بعض الملابس الداخلية. واشترت ايضاً قمصان نوم لا تجرؤ على ارتدائها لكنها لم تستطع مقاومة اغرائها.

وعندما فتحت الباب، وجدت نفسها وجهاً لوجه امام رونالد الذي كان ينتظرها في الخارج.

«ولكن ماذا تفعلين هنا؟» سألها وهو ينظر في ساعة يده.

«كنت اتبضع»، اجابته بهدوء.

«كنت اريد ان اصطحبك الى متجر هيلين!».

«انا قادرة تماماً على اختيار ملابسي بنفسي، وبدون ان احتاج الى رأي عشيقتك»، اجابته بجفاف.

«حسناً، نحن سنتناول العشاء هذا المساء معها ومع

www.elromancia.com

بعض الأصدقاء، فهيلين وساندرا سيدتان انيقتان جدا».

«في هذه الحالة، الأفضل ان اذهب الى المزين، فأنا لا اريد ان اسبب لك احراجاً» اعلنت ليزا بشجاعة.

«سأطلب من احد الخدم ان يرشدك الى غرفتك فان هيلين تنتظرني»، اجاب رونالد وكأنه لم يسمع ما كانت تقوله.

وضعت الظلال على عيونها كما نصحها المزين. كان شعرها مالساً جداً ويسقط على كتفيها وكأنه الشلال، كانت تريد ان تثبت لرونالد بأنها نادرة على منافسة هيلين واصدقائها، نجحت في انتعال «سندل جلدي مقلم بالأزرق والأخضر يتناسب جداً مع ثوبها.

واخيراً، انتهت، فتأملت نفسها في المرآة طويلاً، ان ظلال العيون تبدو بارزة كثيراً؟ ولكن لا اسئلة اخرى لهذا المساء، انها تشبه المهرجين! ولكن المرآة اكدت لها بأنها تبدو جميلة بالرغم من هذا التغيير.

عيونها اكتسبت عمقاً وسحراً جديداً، ورموشها اصبحت اجمل مع هذه الماسكرا، كذلك شفاهها اصبحت مثيرة اكثر مع حمرة الشفاه.

دق رونالد على الباب انها المرة الأولى التي تراه يلبس السموكن، وكيف كانت تجهل رجوليته القوية هذه؟.

«هل انت جاهزة؟».

وعندما لاحظت انه ينظر اليها بدون مبالاة، احست بالغضب الشديد، الم يلاحظ انها تغيرت؟ مع انها واثقة من ان التغيير يبدو واضحاً عليها. لماذا يصر دائماً على

اعتبارها فتاة صغيرة لا يجد الوسيلة المناسبة للتخلص منها.

كانت هيلين وصديقاتها بانتظارهما في البار. وكانت تضع على كتفيها فروا ابيضاً، وتنظر اليها بعدوانية وهي تقترب.

«رونالد المسكين، لقد الح لايت على ان ترافقه ليزا. وهو مضطر لأن يلعب دور الحاضنة! ولكن هذا ليس صعباً يا عزيزي، وسيكون لنا متسع من الوقت فيما بعد» تمتمت هيلين.

«لا تستمعي الى ما تقوله هيلين» همست ساندرا في أذنا ليزا، بينما كان رونالد يشير الى النادل، «فهي بوجود رونالد تصبح كالنمرة الشرسة».

«اما انا فلا اعتبرك طفلة!» قال بيتر ويلك ذلك وهو ينظر نحو ليزا باعجاب، ان الويلك يبلغان حوالي الثلاثين سنة من العمر، وهما لطيفان، ولقد اخبرت ساندرا ليزا بأن لديها طفلان يعيشان في مدرسة داخلية في انكلترا.

«اني مشتاقة اليهما كثيراً، ولكننا لا نملك حلاً آخر ويتمنى بيتر ان يحصل على عمل في لندن، وهكذا بامكاننا ان نعيش كلنا معاً. ولكن حدثيني عن جزيرتكم، هل هي جميلة كما تقولين هيلين» تنهدت ساندرا.

«ان هذه الجزيرة تعود لعائلة رونالد منذ عدة اجيال. وانا لا اظن انه سيبقى يعيش فيها».

«الا اذا قررت هيلين غير ذلك! لقد اخبرتني بأنها تحلم بالعودة الى لندن».

www.elromancia.com

«لكن رونالد لن يوافق ابداً. فهو يريد ان يكبر ابناؤه في سان مارتان، مثله تماماً».

فترددت ليزا وهي تلاحظ ان ساندرا تتأملها.

«هل قلت بعض الحماقات؟».

«لا... فقط! ان هيلين لا يمكنها انجاب الأطفال، وحتى لو انها كانت تستطيع فإنها لا تريد، انها تكره الأطفال».

«ولكن رونالد...».

«يريد وريثاً؟» قالت ساندرا.

«نعم هذا ما اشعر به، على كل حال القرار يخصهما وحدهما، كما واني اعتقد ان هيلين تفضل ان تبقى عشيقته وبأنها لا تريد الزواج منه. وقد ينتهي الأمر برونالد الى القبول بهذا الواقع. وبامكانه ان يجد زوجة غيرها تقبل ان تنجب له الأولاد، ويستمر بنفس الوقت بالتسلية مع هيلين».

«اوه لا!» اعترضت ليزا.

فضحكت ساندرا.

«انت حقاً لا تزالين طفلة! كم عمرك؟».

«ستة عشرة عاماً».

«فقط! كنت اظن انك تبلغين التاسعة عشرة على الاقل!».

وبرغم عدم مبالاة رونالد بها، احست ليزا بالمؤاساة والعزاء بكلمات ساندرا هذه.

وكانت هيلين، لا تزال بذراع رونالد. وكان همسهما

يدل على انهما على علاقة قوية، فرغبت ليزا بان تترك هذه الطاولة وتهرب من هذا المنظر الذي لا يطاق.

بعد العشاء، اعلنت هيلين انها تريد الذهاب الى احدى بارات الليل وترقص. وقالت انها تعرف مكاناً رائعاً بامكانهم ان يذهبوا اليه كلهم معاً، ما عدا ليزا.

«ولكن لا، بامكانها ان تأتي معنا، فعندما نمتلك فستاناً جديداً، نرغب دائماً في اظهاره!» اعترضت ستندرا.

فظهر الغضب على هيلين، وتنهدت ليزا، وكانت متأكدة ان رونالد سيأمرها بان تذهب وتنام الا انه ظل صامتاً. ولكنه عبس عندما رأى بيتر يمسك بذراع ليزا ويمشي معها نحو الباب.

كان البار حاراً ورطباً. وكانت ليزا تفضل عليه مئة مرة ان تتنزه على شاطىء سان مارتان حيث تشعر بالنسيم العليل يداعبها.

«ليزا؟».

عادت الى الواقع ووجدت رونالد واقفاً امامها، بينما هيلين تنظر اليه بغضب، وساندرا وبيتر يتبادلان النظرات.

«ليزا، للمرة العاشرة اسألك اتريدين ان ترقصي معي؟».

«.. ارقص معك؟».

نظرت اليه، وشعرت بالنشوة، ثم تبعته الى حلبة الرقص وكأنها تحلم.

الحلبة تعج بالراقصين، والاوركسترا تعزف لحناً جميلاً، امسكها رونالد بين ذراعيه، وبدأ جسدها يرتعش.

«انا اكيدة بأن هيلين ليست مسرورة لأنك ترقص معي» همست ليزا وهي تنظر نحو الطاولة التي تجلس امامها هيلين وتتأملهما وعيونها تقدح غضباً.

«فلتذهب الى الجحيم!» تمتم رونالد.

احست ليزا بأنه يضمها اليه كثيراً.

«وانت ايضاً! انت لا تزالين طفلة، ولكن هذا المساء» اضاف رونالد بصوت ضعيف.

لاحظت ليزا نقط العرق تتلألأ على جبهته، انه يرتعد، رونالد! الذي لا يقهر يرتعد لأنه يضمها بين ذراعيه! هذا امر لا يصدق...

«ليزا!».

عندما اسندها الى صدره، احست بأنها تذوب في جسده الدافىء، ثم طبع قبلة على عنقها، فأخذت ترتجف بين يديه، وكانت هيلين في الجهة الأخرى تنظر اليها بغضب بدون شك. ومن الطبيعي انها ستجعلها تدفع غالياً ثمن رقصها بين ذراعي عشيقها! ولكن ليزا كانت تشعر بأن هذه السعادة التي تمتلكها تجعلها محصنة في مواجهة هيلين.

فجأة احست بأن هذه الحرارة التي تجتاحها غير طبيعية. فنظر اليها رونالد وسألها.

«ما بك يا ليزا؟».

«ان الجو حار هنا».

هذا المساء شعرت ليزا بتغيير كبير لم تفهمه، وكأن هناك معجزة تنتظرها.

«اتريدين ان نخرج قليلاً؟» اقترح رونالد ثم اشرقت عيونه بابتسامة من شفاهه.

«هذا افضل!» اجابته وهي تتمنى ان لا يلاحظ ارتباكها.

«انا لا اريد ان اصطحبك معي الى سانت لويس»..

«انا اعرف..».

سارا معاً على الرمال تحت ضوء القمر، فأحست ليزا بالانتعاش لأن الهواء العليل افضل بكثير من جو البار الحار.

خلع رونالد الجاكيت ونظر اليها وقال.

«ليزا، هل تجهلين حقاً ماذا اصابني؟ اليست لديك اية فكرة عن الغيرة التي شعرت بها عندما رأيتك مع بيتر؟».

«انت تغار؟» تنهدت ليزا.

«انا رجل».

«ولكنك تبدو دائماً وكأنك تمل مني».

«ولكنها ليست الحقيقة انت عمرك سبعة عشرة سنة،» تمتم رونالد وهو يمسك وجهها بيديه، انت طفلة صغيرة، ولكنك مثيرة حقاً... فأنا كنت اكرر دائماً انك مجرد اخت لي، ولكني ارغب بك كثيراً ولا استطيع ان اقاوم مشاعري».

اخذ جسم ليزا يرتجف وينطق بجواب اخرس. ووضعت اصابعها على خد رونالد.

«ليزا!» تنهد رونالد وهو يقبل راحة يدها.

«لا يجب ان... لم يكن علي ان اكلمك هكذا، ولكن، فليساعدني الله، لا استطيع ان اقاوم».

«تابع رونالد ارجوك انا ايضاً احبك».

«وبيتر؟ كيف تجرؤين على الاعتراف بحبك لي وانت تبتعدين كلما نظرت اليك؟ حتى هذا اليوم، يبدو انك لم تشاهدي من قبل رجلاً عارياً» احمر وجه ليزا حتى اذنيها، لكنها وجدت الشجاعة واعترضت.

«وهل هذا مهم؟ الا تريد ان تعلمني».

«ليزا!».

صرخ رونالد بها، لكنه عاد وامسكها بذراعيه واخذ يقبلها بحرارة.

الفصل الرابع

وجدت ليزا بشفتيه نعومة وبراءة لدرجة ان العالم كله اختفى من حولها ولم تشعر سوى بالأحاسيس التي كانت تبحث عنها وكانت ممددة على الرمال تتلذذ بلمساته.

لكنه نهض فجأة، وتركها حائرة مرتبكة.

«ان لايت سيكون سعيداً!».

امسك يدها ليساعدها على النهوض، «انت تلاحظين محاولاته المتكررة كي يدفعنا الى احضان بعض».

لم تجب ليزا، ضمها رونالد الى صدره بعمق وقال.

«يا للبراءة التي تحيط بوجهك يا حبيبتي».

ارتعدت ليزا رغم دفء ذراعيه يبدو ثائراً من الرغبة التي يشعر بها تجاهها.

«رونالد، هل تحبني حقاً؟».

تردد رونالد للحظة ثم قال.

«نعم، انا احبك يا ليزا، وكيف تشكين بذلك؟ الآن

www.elromancia.com

يجب ان تصعدي الى غرفتك».

كانت تفضل ان تقضي هذه الليلة بين ذراعيه... ولكن كيف ستعبر عن ذلك؟ ولماذا لا يطلب هو منها ذلك؟ لو كانت هيلين مكانها.. ولكن رونالد يحبها هي وعندما سيعودان الى سان مارتان، سيتكلم مع والده، وسيتزوجها.

في اليوم التالي انضمت اليه لتناول الفطور.

«الست نادماً.. بالنسبة للذي حصل مساء امس؟» سألته ليزا، وقلبها يرتجف بسرعة.

«انني نادم على الذي لم يحصل، هل تفهمين جيداً هذا الكلام؟ فأنت لا تعرفين شيئاً عن هذه الحياة» اجابها مبتسماً.

«رونالد! انا احبك».

«وانا ايضاً، كنت اريدك ان تنتظرينني سنتين على الأقل.. ولكني اخاف ان افقدك. انا ايضاً احبك كثيراً».

«ماذا سيقول لايت؟».

«لا اظن انه سيكون مندهشاً، فأنا اشعر بأنه يعرف احاسيسي تجاهك، وانا واثق بأنه دبّر هذه الرحلة خصيصاً كي يجمعنا معاً. منذ مدة وهو يكرر قوله لي بأنك كبرت.. كنت اعتقد بأن الرجال المسنين فقط يرغبون بالفتيات المراهقات».

«انا لست مراهقة! فبعد شهر واحد انهي عامي السابع عشر، وسنة اخرى و....» اعترضت ليزا.

«سيصبح عمرك ثمانية عشرة عاماً، فأنا اعرف الحساب، هيا، حضري اغراضك، فإذا انطلقنا باكراً قد

نصل قبل هبوب العاصفة».

بعد ساعة كانا قد غادرا مرفأ كاستري ولم تكن هناك غيوم في السماء، ولكن لون السماء كان يدعو الى الأخذ بعين الأعتبار تعليمات مركز الأرصاد والتغيرات الجوية.

هذه المرة، ليست مضطرة للبقاء في الأسفل، لبست بنطلون جينز قصير كالذي يلبسه رونالد، وعندما امسك بيدها ليساعدها على الصعود ارتعش جسدها تحت نظراته التي اخذت تتأملها بدقة.

«الأفضل ان نستعمل المحرك الاضافي، فان لون السماء لا يعجبني» قال رونالد.

بعد ربع ساعة نزل رونالد كي يتحقق من غرفة القيادة.

«الراديو لن يفيدنا، ان التشويش كثير بسبب العاصفة».

هب الهواء، فصعد الى السطح كي يراقب الأشرعة.

«اشعر وكأننا نتجه مباشرة نحو العاصفة، يبدو انها غيرت اتجاهها لو اني استطيع فقط ان استفيد من هذا الراديو، انزلي يا ليزا والبسي سترة الانقاذ واحضري لي واحدة لو سمحت!».

عندما لاحظ اضطراب ليزا، اضاف بلطف:

«انه احتياط فقط».

«قل لي الحقيقة، ارجوك».

اعتقدت للحظة انه يكذب، ولكنه اجابها مقطباً.

«ليس اعصاراً. ولكننا لسنا بعيدين عنه. وبدا لي هذا الصباح اننا لسنا في مساره، لتتمنى ان يبقى هكذا، ولكني اشعر بالأمان اكثر اذا حصلت على اشارة من الراديو».

بعد ذلك، لم تسمح لهما الفرصة بالحديث. وكان رونالد يوجه اليها الأوامر المختصرة والدقيقة، ثم كانت ليزا تطيعه بسرعة.

بالنسبة لهما، لقد نجحا الآن في المحافظة على مقدمة المركب. رغم الهواء الذي يهب بقوة، والبحر الذي يرتفع اكثر واكثر. واصبحت الامواج ترتفع حتى وصلت المياه الى السطح. كانت السماء قد اصفر لونها مهدداً.

«يجب ان نسرع، علي ان انزل الاشرعة، امسكي انت المقود وحافظي على ثبات المركب».

انهما الآن يسيران مع الرياح، واذا مال المركب قليلاً، فان الريح سيغرقه، وهذا ما كانت تخشاه، ثم فجأة مال المركب قليلاً فوقعت ليزا على الأرض ولكنها نهضت بقوة وامسكت بالمقود مرة ثانية وهي تصلي الى السماء كي يتمكن رونالد من التحكم بالأشرعة.

للحظات قليلة اصبحت السماء مليئة بالغيوم السوداء، وكان المركب يتمايل اكثر، ولكن رونالد لم ينزل بعد! وفجأة اهتز المركب بقوة وسمعت ليزا صوت قرقعة مخيفة، ان الرياح تكاد تمزق الأشرعة.

شغلت ليزا المقود الأوتوماتيكي. وقررت ان تصعد وترى ماذا حصل مع رونالد، وعندما فتحت الباب كادت العاصفة ان تقتلعه.

كان الشراع يتأرجح، فصرخت ليزا عندما رأت رونالد ممدداً على الأرض، ففهمت بأنه وقع عندما سقطت السارية عليه.

حاول النهوض بصعوبة.

«ماذا حصل؟ اظن ان شيئاً يزن خمسة عشرة طناً اصابني».

«انها السارية. وقد وقع الشراع».

«معك حق» امسك بها فجأة بعد ان كادت تفقد توازنها عندما ارتدت موجة على المركب.

«الأفضل ان ننزل الى الأسفل، سأنزل المرساة وانقذ ما تبقى من الأشرعة».

ساعدته ليزا في تثبيت الأشرعة، ونزلا الى الغرفة، اشعل رونالد الفانوس، ونظر الى جراحه، جرح على جبهته، وجلده ممزق.

«دعني انظف جراحك» طلبت منه ليزا بحب.

اهتز جسده عندما وضعت ليزا القطن المبلل بالمطهر على جرحه، ورغم اعتراضات ليزا، اصر رونالد وصعد الى المتن كي يرى الخسائر.

«لقد هدأت الرياح»، اخبرها رونالد بعد ان عاد.

«ولكن افضل ان لا نسرع ونعرض انفسنا للخطر، فلننتظر قليلاً لقد زال الخطر».

«ارتح قليلاً» اقترحت ليزا.

«سأنام قليلاً، ايقظيني بعد ساعة لو سمحت».

سمعت ليزا شخيره في غرفته، فهي لا تزال غير واثقة من حبه لها.

وكما اخبرها رونالد، عاد الهواء القوي. وبعد نصف ساعة، فتحت ليزا باب الغرفة وكان ينام نوماً عميقاً،

احست بالحنان، واقتربت منه ورفعت خصلة من شعره كانت تنزل على جبينه، ففتح رونالد عينيه واخذ يتأملها.

«ليزا؟»

وجذبها الى جانبه على السرير، واخذ يبحث عن شفتيها.

«يا الهي، ليزا كم ارغب بك» اخذت شفتاه تنزلقان على عنقها الناعم، وضمها اليه بقوة ويداه تلامسان جسدها.

تقطعت انفاس ليزا، وتفجرت احاسيسها، فأخذت تتداعب شعره، فقدت كل مقاومة وتاهت في الرغبة الجامحة، ظل رونالد يلفظ اسمها ويقبلها بحرارة الى ان استسلمت له.

ان هذا ما كانت تنتظره منذ مدة طويلة.. ولم تهدأ شفتاه عن تقبيلها، احست بسعادة كبيرة ضغط بجسمه القوي على جسمها، فأحست بأن جسدها يلتهب من ملامسة جلده.

ولم تكن ليزا تفكر بشيء، سوى انه يحبها وترغب في ان تصبح جزءاً منه.. لكنها كانت مندهشة لأنه اختار هذه اللحظة بالذات، اتكون العاصفة قوية هي السبب؟.

تنهد وتابع تقبيلها، فأصبحت وكأنها فريسة سهلة لهذا الحريق، كانت تشعر بأنه يشاركها احاسيسها.

«ليزا.. ليزا!!» وكان ينظر اليها بنهم ولا يتوقف عن التلفظ باسمها.

«ليزا!!» كان الألم قوياً، لكنها كانت سعيدة بامتلاكه لها، وبهذه الرغبة القوية التي تجتاحهما معاً.

بعد قليل، نام رونالد، ثم اخذت تتأمله بحنان، سعيدة بهذا الشعور الجديد، يا لسعادتها!! لقد اصبحا زوجاً وزوجة.

ونهضت ببطء، ثم قررت ان تصعد لكي تتأكد من حالة المركب..

هدأت العاصفة تماماً، انها شبيهة بعناقهما الذي كان بينهما.

عندما نزلت الى الغرفة كان رونالد لا يزال نائماً نوماً عميقاً ويتنفس بانتظام، ففضلت ان تتركه يرتاح وان تمضي الليل في غرفتها، حيث نامت لكن شفتيها ظلتا تتلفظان بكلمات الحب، التي كان ينطق بها رونالد وهو يمارس الحب معها فأحست بالخجل. ولكنها كانت سعيدة بكونه حبيبها.

«ليزا!!!».

استيقظت على صوته، ففتحت عينيها، ورأته واقفاً امامها يحمل بيده فنجان القهوة.

«رونالد».

ارادت ان تسأله اذا كان سيحبها دائماً، لكنه اسرع واخبرها بأن العاصفة ابتعدت. ووضع يده على جبينه، فلاحظت ليزا البقعة الزرقاء التي سببتها الضربة القوية.

«هل تشعر بالتحسن؟» سألته بقلق.

«نعم، ولكني اذكر فقط انني فقدت وعيي... ولا اذكر شيئاً آخر! الى ان استيقظت هذا الصباح».

«لا تذكر شيئاً؟».

تأملته ليزا دون ان تفهم، هل يمزح؟ لا... يبدو جدياً. فتنفست بعمق ثم ضحكت وسألته؟.

«اتريد ان تقول بأنك لا تذكر شيئاً؟».

هز الشاب كتفيه وابتعد نحو الباب.

«لا، شكراً لأنك اعدتني الى غرفتي! لم يكن سهل عليك ان تنزليني وتبدلي لي ملابسي! ان الله وحده يعلم ماذا كان سيحصل لي بدونك، يجب ان نعود بسرعة: فان ابي سيكون قلقاً جداً».

ليس الوقت الآن مناسباً للحديث عن ليلة امس، ابتسمت ليزا وهي تفكر بمزاجه وادعائه انه فقد ذاكرته، واحيانا يكون للارتجاج الدماغي آثار غريبة، ولكن كل ما يهمها هو ان رونالد ليس بخطر.

«ستتناول الفطور بمدة خمسة عشر دقيقة! لا تصعُدي لأنني اريد ان استحم».

ماذا سيقول اذا علم أن جسده لم يعد غريباً عنها.

بعد ثلاثة ساعات، ظهرت الجزيرة امام نظرهما، ولم يكونا قد تكلما سوى كلمات قليلة. كان رونالد يبدو متعباً، ولقد لاحظت مرتين وبدهشة انه كان ينظر اليها خلسة.

«ماذا يجري؟» سألته بحذر عندما لاحظت وللمرة الثالثة نظراته الغريبة.

«هل غيرت رأيك؟».

«للاسف، لا، لكنك صغيرة جداً على الزواج، او انك ستكونين عشيقتي، وانا اشك بان لايت لن يقبل بهذا الوضع» اجابها بهدوء.

«هل ترغب بي حقاً؟».

«اكثر مما تتصورين، وكل العالم يعلم بأن الرغبة عند الرجل تعطل تفكيره!» تقدمت نحوه، وتمنت ان يقبلها، ولكنه لم ينظر اليها، ثم تابع عملية ادخال المركب الى الخليج.

رنين الهاتف ايقظها، نزلت الى الصالون ورفعت السماعة ثم تنهدت لقد عرفت صوت وكيلها.

«براوري يريد رسومات مجموعته الجديدة بسرعة، اين اصبحت.

«اني اتقدم بالعمل، ولكن متى يريدها».

«اعتقد انني سأريه اولاً تلك الرسومات الجاهزة، ان الأولى لقيت حماساً كبيراً».

«بقي نصفها، ولكني سأتأخر اسبوعاً لأني سأسافر مع روبي» قالت ليزا.

كانت سعيدة بعملها لأنها تستطيع ان تكسب رزقها وهي في بيتها.

بعد رحيلها عن سان مارتان، كانت ليزا قد فقدت كل ثقتها بقدراتها الشخصية. ولكنها شيئاً فشيئاً، وبمدة اشهر قليلة، عادت اليها بعض الثقة بنفسها واستطاعت ان تنجح في تكوين اسمها في اوساط كتب الأطفال وبذلك تؤمن حاجاتها وحاجات ابنها.

«اسمعي، سأمر وآخذ اللوحات المنتهية» اقترح غريك.

فوافقت ليزا، ثم اقفلت السماعة وتنهدت ماذا سيحصل اذا خسرت العقد الجديد؟ لا يزال معها بعض النقود،

ولكن هذا لن يستمر طويلاً اذا كان عليها ان تتابع هكذا... واذا رفضت السفر؟ اذا لم تذهب لرؤية لايت؟.

ظلت كل الصباح مترددة بين رغبتها في تلبية نداء لايت، وبين شعورها بالعذاب، اذا عادت الى سان مارتان، وكانت تخاف ان تخسر الكثير، واول ما ستخسره هو استقلاليتها.

عند وصوله قبلها غريك على خدها كالعادة ثم دخل، فاستقبلته ليزا بحرارة، فهو بالنسبة لها ليس مجرد وكيل ولكنه صديق رائع. لقد التقت به بعد ولادة روبي بمدة قصيرة. ورغم حذرها الشديد، لاحظت بأنه علم ان هذا الطفل هو ثمرة تجربة حب قصيرة ومؤلمة.

قدم لها غريك المساعدة في عملها، وشجعها على المثابرة، وقدم لها عروضاً تسمح لها بالعمل في منزلها. كان مطلقاً في الأربعين من عمره، وكانت تلاحظ بوضوح نظراته اللطيفة كلما نظرت في عينيه. وكثيراً ما تساءلت بمرارة، لماذا اراد القدر أن يحبها الرجال اللطفاء المهذبون بينما هي تحب رجلاً من النوع الآخر. كانت تعني رونالد المتعالي الأعمى.

«م. م. م. انها رائعة، ان اعمالك تسير نحو الأحسن.. ان ملامح الوجوه ناجحة جداً!» صرح غريك بعد ان تفحص الرسومات.

«بواري سيكون مسروراً جداً. وانا لدي خبر جيد، واخيراً، لقد علمت انهم يبحثون عن رسام ليرسم لهم مجموعة البومات عن الثياب. وهم يفكرون بك جدياً.

وسيتم ذلك في الايكوس في الهايلانو. وبامكانك ان تحصلي على اجازة لعدة ايام كي تتعودي على الجو. سأحصل على رأيهم النهائي في الأسبوع القادم. وانا اعتمد على هذه الرسوم كي اؤثر عليهم.

«غريك».

وعضت على شفتها كيف ستخبره؟ وبحثت عن الكلمات. وادركت انها قد اتخذت قرارها.

«ليزا؟ ما بك؟».

كادت ان تتكلم لكنها سمعت طرقاً على الباب.

«هل افتح؟» سألها غريك.

وبما انه كان قريباً من الباب ابتسمت ليزا ووافقت، فذهب غريك ليفتح الباب بينما استمرت في التفكير والبحث عن طريقة تخبره فيها بعزمها على السفر.

لكن صوت رونالد جعلها تنتفض وبحركة آلية وضعت يديها على صدرها خائفة.

«اعتقد انني نسيت قفازي هنا مساء امس ولم اكن لأزعجكم لو لم تكن هذه القفازات هدية حميمة».

«هيلين؟» سألته ليزا، وقد احمر وجهها، ولمعت عيونها ببريق الغضب والغيرة.

«اذا كان الأمر كذلك».

لكنها تذكرت وجود غريك فتمالكت اعصابها.

«انا لست مندهشة لأنك لم تهتم بهذه القفازات او انك على الأقل جئت فقط كي تتجسس علي».

تبدلت ملامح رونالد، ولكنها احست بالمرارة عندما

فكرت ان رونالد متعلق بالقفازات التي اهدتها له هيلين اكثر من تعلقه بابنه، وشعرت بالغضب الشديد.

«انتما اصدقاء منذ مدة؟» سأل غريك وهو يلاحظ تعابير ليزا.

الفصل الخامس

لكن رونالد لم يترك لها مجالاً كي تجيب، فأسرع واجابه.

«ليزا هي زوجتي».

فدهش غريك والتفت نحو رونالد ثم نحو ليزا متسائلاً عما سمعه.

«ليزا، هل هذا صحيح؟».

هزت ليزا رأسها وقالت:

«نحن انفصلنا من سنوات، انا...».

«ان ما تريد ليزا ان تقوله»، قاطعها رونالد وهو يمسك يدها.

«اننا كنا تخطينا... التجربة، ولكننا سنعود ونبدأ من جديد، فهي ستعود معي الى الكاريبي».

لكن غريك لم يصدق ما سمعه.

«ليزا! هل هذا صحيح؟ انك لم تخبريني».

www.elromancia.com

«لقد تعارفنا لمدة قصيرة والآن، ابي مريض جداً، ويريدها بقربه، ولهذا جئت كي ابحث عنها».

«كان لايت دائماً كأبي» تابعت ليزا وهي تنظر نحو غريك.

«انا افهم، بهذه الحالة اعتقد ان العقد الجديد لن يهمك». ثم تنهد واضاف.

«يا للأسف! ليزا فنانة حقيقية، وانت تعرف ذلك»، التفت نحو رونالد.

«لا اعتقد ان رونالد يهتم بموهبتي» اجابته ليزا.

«اذا كانت ذكرياتي دقيقة، لم يسمح لنا الوقت بالحديث عن كيفية تمضية اوقات الفراغ والتسلية» قال رونالد بمكر ووقاحة.

احست ليزا بأنه لم يندهش لسماعه الحديث عن اعمالها.

«هكذا اذاً. روبي هو ابنك، وهو يشبهك تماماً» تمتم غريك.

قست ملامح رونالد، «ليزا، يجب ان اذهب سآخذ رسومك معي كي اعرف رأيهم بها على كل حال» قال غريك.

«سألتزم بهذا العقد في الوقت الراهن. اعذرني يا غريك» وعدته ليزا وهي ترافقه حتى الباب.

«هيا، لا تعتذري، ان كل ما يهمني هو ان اراك سعيدة».

وابتسم ابتسامة حزينة، وداعب شعرها.

«كنت اعرف ان هذا ليس سهلاً بالنسبة لك، ولكني قد لا اجبرك للانتظار طويلاً».

«كم هذا مؤثر!!» قال رونالد مستهزئاً.

اغلقت الباب والتفتت نحوه.

«كيف تجرؤ على السخرية من غريك! بدونه لما كنت تمكنت انا وروبي من العيش الكريم!».

«انا اعرفك جيداً انك معتادة على البحث عن رجل يقبل ان يتحمل مسؤولياتك».

«انها مسؤولياتك انت، روبي هو ابنك ومهما فعلت ومهما قلت لن تغير شيئاً» اجابته ليزا بغضب كبير.

«دائماً، نفس القصة، هيا، ليزا فنحن نعلم جيداً بأنني لست والده».

«ماما، ماما هذا انا!».

فتمالكت ليزا نفسها وفتحت ذراعيها لتضم روبي.

كانت جارتها تتناوب معها في اصطحابه ورفيقه الى المدرسة، ثم اعادتهما الى البيت. وبدأ روبي يقص على والدته حوادث يومه، ولكن كان ينظر من وقت لآخر، الى هذا الزائر بتردد، ثم تابع حديثه.

وكانت ليزا تستمع له وقلبها يدق بسرعة وكأنها كانت تركض مسافة طويلة، فروبي هو ابن رونالد، كانت تعتقد انه لن ينكره ابداً. لكن الجرح القديم عاد لينزف من جديد. انه لا يزال على عناده ويقلب القصة ويدينها كما كان يفعل منذ خمس سنوات.

لا تزال تذكر جيداً تلك الفترة التي سبقت رحيلها عن

الكاريبيب.

حينها، بدا ان كل شيء مضى مع سرعة ومفاجأة العاصفة، ولكن الحنكة ضرورية، لقد فهمت ليزا بأن هذا الحب المشع ظاهرياً، كان فاشلاً منذ البداية. وكي يبدأ، كان يجب ان تعرف حقيقة مشاعر رونالد بالنسبة لها، كانت صغيرة وعمياء.

اما الآن، فانها تشعر بالالم وهي تذكر الفرح الذي كان يملأ قلبها عندما عادا الى الجزيرة. وكان لايت قد اسرع لأستقبالهما، فاسرعت واعلمته بالنبأ، ولاحظت ان نظرات لايت تعكس فرحته الكبيرة.

فهل سينظم لايت حفل الخطوبة، انها لا تعلم بعد. لكن رونالد ظل صامتاً، ولم تكن تعتقد ابداً انه قد غير رأيه. انها هيلين هي التي زرعت الشك في نفسه... وامام فقدان ذاكرة رونالد، توقفت ليزا عن القلق. واخبرت مايك بالارتجاج الدماغي الذي اصاب رونالد. ولقد اكد لها الطبيب الشاب ان ذاكرته ستعود له يوماً ما وسيضحكان ويمرحان معاً من جديد.

الم يتذكر هذه الحادثة حتى اليوم؟ تساءلت ليزا وهي تنظر الى روبي يتقدم نحو هذا الرجل الذي لا يعرفه، بدون خوف، فهل سيظل ينكره، ام انه سيقر باخطائه نحوها ونحو روبي؟.

ان عائلة روبي تمتلك جزيرة سانت مارتان منذ اجيال عديدة. لقد حرمه من اسمه، لقد حرم روبي من كل حقوقه. ولكن الاهم انه حرمه من حب الأب، بالطبع

سألها الصغير عن والده، واجابته ليزا بصراحة، فهو يعلم ان والده يعيش في مكان بعيد، ولكنه لم يسأل غير ذلك. لكنها يجب ان لا تخدعه، لأنه سيأتي يوم ويطلب منها ان يعرف المزيد... وهكذا لقد جاء رونالد يريد ان يأخذهما معه الى الكاريبيب، فهل يجب عليها ان تتبعه؟ هل ستجد القدرة على العودة الى المكان الذي عاشت فيه بسعادة قبل ان يتحطم قلبها؟.

«عودي، يا ليزا! اين سرحت؟ هل تفكرين باحضان عشيقك؟» فغضبت ليزا.

«أنا لم يكن لي الا حبيب واحداً!».

«اتريدينني ان اعتقد انك لم تتعرفي على احد بعد بيتر؟ لماذا؟ كنت معي موافقة تماماً... الى ان اكتشفت الحقيقة!».

«الحقيقة!» صرخت ليزا.

الاتهام الذي تقرأه في عيونه جعلها تحس بالغضب الشديد من هيلين التي دمرت زواجهما حتى قبل ان يبدأ! ومن رونالد نفسه اولاً لأنه رفض ثقتها، وخانها ولم يكن يحبها ابداً! لأنه لو كان يحبها لكان صدقها.

«ماما!» قال روبي وقد شعر بالنزاع الذي بينهما.

«لا شيء يا روبي، لا تخف يا بني»، اكدت له امه.

«انه يحبك كثيراً. ولكن هل انت متأكدة انه سيظل يحبك عندما يعرف حقيقة والده؟» قال رونالد بصوت منخفض بينما انحنت كي تحمل الصغير وتضمه اليها.

«أنا اعرف اين هو والدي! انه يعيش في مكان بعيد

خلف البحر ولهذا لا يستطيع ان يأتي» اجابه روبي بحدة.

«لقد اصبح لجامي والد جديد»، والتفتت نحو والدته ثم اضاف:

«هل سيكون لي أنا ايضاً والد جديد؟».

فنظرت نحو رونالد بطرف عينها.

«يجب ان يتناول روبي غداءه، ولدي عمل يجب ان انهيه، بامكاننا ان نتابع حديثنا في وقت آخر».

«أنني انتظر جوابك هذا المساء، ولا تنسي أنه اذا كان روبي ابني أنا، فمن حقي ان آخذه معي. بأذنك او بدون اذنك. فاذا رفضت فاني سأضطر الى استعمال هذا الحق، ليزا ابي بحاجة اليك».

لايت بحاجة لها... ظلت هذه الجملة تتردد في رأسها بعد ذهاب رونالد. هل بامكانها ان تتخلى عنه ولا تلبي نداءه؟ عندما رفض رونالد ان يعترف بأنها تحمل طفله، هربت ولا تزال تهرب، فهل حان الوقت كي تتوقف عن الهرب؟.

ولم تكن قادرة على التركيز، فتركت العمل. هذا المساء سيأتي رونالد يسألها عن ردها... فنهضت وهي تتنهد، حولها اختفى الصالون وشعرت بأنها في ذلك البيت الفخم في سان مارتان.

لقد قضت هناك فترة الخطوبة، وكان رونالد غير مهتماً بشيء. ولقد سمعته ليزا وهو يعترض على ابيه، كان يفضل ان يكون حفل الزواج بسيطاً.

لكنها لم تسمع رد لايت فمنذ ايام، ورونالد يطبع على

خدها قبلة اخوية كلما التقى بها على الغداء او على العشاء، ولم يكن يحاول ان يختلي بها ابداً.

كانت قد قررت ان تقول له بانها هي ايضاً تريد ان يكون احتفال الزواج بسيطاً، لكنه اضطر الى السفر الى سانت لويس للقيام ببعض الأعمال. وخلال فترة سفره هذه علمت ليزا أنها تنتظر مولوداً.

كانت كل صباح عندما تستيقظ تشعر بالغثيان، لكنها لم تكن تعرف معناه. وفي ذلك اليوم عندما وصلت الى المستشفى حيث كانت تذهب بعد ظهر كل يوم لتتحدث مع المرضى، وتعرض خدماتها شعرت بالدوخة وبالاعياء. بأسرع مايك ورفض ان يشرح لها هذه العوارض. لقد كان حذراً جداً وبعد قليل قال لها بان هذه هي عوارض الحمل. فقبلت ليزا ان تتبعه الى عيادته حيث لا يمكن لأحد ان يراهما، وبعد ان فحصها سألها فجأة.

«ولكن ماذا يظن رونالد؟ بالنسبة لخبرته يجب عليه ان يكون عارفاً...».

«رونالد لا يعرف».

ثم اخبرته ليزا بكل شيء وقد احمر وجهها، فنظر اليها مايك بوقار.

«ان احتفال الزواج له اثر غريب، ولكني لا استطيع أن اؤكد لك بان ذاكرته سترجع اليه».

«سأتكلم معه، ثم سيكوه هذا الولد ولده...».

«نعم...».

ظل مايك مرتاباً، فأحست ليزا بالخوف.

«ليزا، انا لست اختصاصي بالامراض العقليه والنفسيه. ولكني اجد غرابة في ان يختار رونالد ان يمحي هذه الذكرى... شخصياً».

«يختار؟ لقد قال بأن احتفال الزواج...».

«نعم، ولكن الامور معقدة، واعتقد انه من الافضل ان تكلميه بصراحة وان تقولي له له أنك حامل، حاولي ان تفهمي...».

ورافقها الى باب العيادة.

«الا يزال رونالد مسافراً؟ انت لست سوى في السابعة عشرة وهو يقترب من الثلاثين، انه يحبك ويريد ان يتزوجك، وسيظل يحبك ويرغب بك بقوة، وهذا ما احاول ان اقوله لك. انه يحاول ان يبتعد عنك. وان يمتنع عن...».

«ولكن، لماذا يبتعد عني وقد مارس الحب معي؟».

«هل تتصورين رأيه الشخصي عندما اكتشف بانه اغتصب فتاة بريئه؟ ولهذا السبب يحاول ان ينسى. رونالد رجل معقد، ولا اريد ان اخطىء واؤكد بان الفارق في السن هو الذي يشغل باله. كان يعتبر دائماً انه اخوك الاكبر الذي يجب عليه حمايتك. وانت لا تستطيعين ان تفهمي الصعوبة في الانتقال من دور الأخ لدور الحبيب العاشق. مهما كانت رغبته بك كبيرة».

«هل تعني بأنه لن يصدقني»، وتنهدت ليزا بألم.

«أنا لا اقول ذلك، سيصدقك ولكنه سيحتاج الى بعض الوقت. ان شخصيته قوية جداً، واعتقد بأنه لن يغفر لنفسه

هذا العمل الذي يعتبره خطأ فادحاً»، اجابها بسرعة يريد ان يطمئنها.

ولاحظ مايك الدموع في عينيها. فضمها اليه كي تشعر بالاطمئنان، وبهذه اللحظة بالذات ظهر رونالد. فرأته ليزا اولاً وهي تتكأ على كتف مايك، كانت ذقنه طويلة وتعابيرة غامضة يتعذر تحديدها.

فذهبت معه، واعصابها متوترة، وخائفة من فكرة انه يجب عليها ان تخبره بانها حامل واخذت تصلي الى السماء كي تمنحها الشجاعة.

وكي تزداد الامور سوءاً، وجدت هيلين في المنزل. فبعد ان قضى معها يومين في سانت لويس، جاءت معه الى سان مارتان على متن المركب لايدي، بالطبع عندما اخبرتها هذه التفاصيل كانت تريد ان تثير غيرتها.

لقد كان رونالد يشتغل، وهذا بادياً عليه ولكن هذا لا يزيل مخاوفها ولا شكوكها التي ولدت بعد حديثها مع مايك.

في تلك الليله، سمعت خطوات تتوقف امام باب غرفتها. رونالد، فجلست وارتبكت، لكن الباب فتح وظهرت هيلين تبتسم ابتسامة النصر.

«كنت تنتظرينه هو؟ يا عزيزتي اذا وصلت علاقتكما لهذا الحد، فتأكدي انه لن يتزوجك ابداً. انه واقعي ويرغب بك ولا يستطيع ان يحصل عليك بطريقة اخرى. انك الزوجة التي اختارها له والده. ولكن لا تعتقدي انه يحبك. انه يحبني أنا، وسيعود الي بعد ان يشعر بالتعب من ممارسة

www.elromancia.com

الحب مع فتاة صغيرة. اما الآن فان براءتك وسذاجتك حجة واهية، وسريعاً...».

«وما الذي يدفعك للاعتقاد بأنني أنا ورونالد لسنا بعاشقين؟» سألتها ليزا بغضب.

فابتسمت هيلين ابتسامه سخريه.

«وان كان هذا صحيحاً، فهذا لن يكون ابداً كافياً! والا لماذا جاء الى سانت لويس كي يراني؟».

ان ذكرى هذه المحادثة تجعلها ترتعد، وكأنها ضربتها ضربة قوية. وكانت ترغب بالصراخ، لكن صراخها علق في حنجرتها. واخيراً قالت هيلين كلمتها الاخيرة.

«هناك شيء آخر اريد ان اقوله لك، ايتها الصغيرة، رونالد لا يحب المشاركة. واذا كنت حساسه احمي... مغامراتك مع الطبيب الشاب بسرية اكبر!».

ظلت هيلين يومين، مستأثرة برونالد.

اقترب موعد الزواج. وكان لايت ينظر اليها بقلق، وكأنه لاحظ الجهد الذي تبذله كي تخفي يأسها.

وكانت ليزا تنتظر اللحظة المناسبة كي تتحدث مع رونالد، وتروي له وقائع تلك الليله على متن القارب لايدي. ولكنه كان يبدو وكأنه يتجنبها، واخيراً في مساء ذلك اليوم الذي رحلت فيه هيلين، انتظرت ليزا حتى ينام الجميع، وتبعت رونالد الى غرفته. وبعد ان دقت الباب، دخلت فوجدته واقفاً في وسط الغرفة بدون قميص وتظهر عضلاته بارزة على ضوء القمر، فأحست برغبه لا تقاوم، واخذت تتأمله وهو يتأملها، فلم تستطع ان تقاوم اكثر،

فاسرعت نحوه، تمتم باسمها فضمها رونالد الى صدره بقوة، فاسندت رأسها على كتفه واخذت تشم رائحة جسده.

«ليزا ماذا يجري؟».

فاخذت ترتعش، ولم تدري كيف ستتمكن من تنظيم دقات قلبها الذي يرتعش في صدرها.

«ليزا، الا تدرين ما يحصل لي؟» همس رونالد في اذنها وهو يداعب شعرها.

«اريد ان اتكلم معك».

لكن رونالد ضحك وابعدها عنه واضاء الغرفة.

«ليس هذا المساء يا ليزا، اذهبي ونامي قبل ان انسى كل وعودي».

فانقبض قلبها وسالت الدموع في عينيها، وهربت وخبأت نفسها في سريرها.

هل قالت هيلين الحقيقة؟ رونالد لن يتزوجني؟ وكانت افكارها مشوشة، فأخذت تصلي الى السماء كي يأتي الصباح ويكون كل شيء قد عاد الى طبيعته وتكون هذه الغيوم السوداء قد رحلت وعادت السماء الى صفائها.

كانت ليزا قد وضعت روبي في سريره عندما عاد رونالد في الساعة الثامنة مساء. فدعته للدخول دون ان تجرؤ على النظر اليه. فتبعها الى الصالون وكان قد بدل ملابسه، وارتدى بنطلوناً من المخمل الغامق وقميصاً كارو. وقبل ان يجلس رمى جاكيته الجلدية على الكنبه.

«تصرف وكأنك في بيتك!» قالت له ليزا.

«شكراً».

ولكن الغضب قد جعلها لا تطاق... كما أنه كان دائماً لا يطاق، وهي فقط التي لم تكن تقبل هذه الفكرة عنه.

«لن ابقى هنا طويلاً، فلدي موعد» نظر في ساعة يده.

«مع هيلين؟ هل جاءت معك؟».

«لا، ابداً فأنا بنظر الجميع لا ازال رجلاً متزوجاً».

«ولكنك كنت خاطباً عندما قضيت يومين معها في سانت لويسي!» ردت عليه.

الفصل السادس

«فلا تنكر لقد اخبرتني هيلين بذلك. كما وانها اخبرتني سبب زواجك مني، لقد كانت محقه، انت لم تحبني ابداً، لكنك كنت تريد ان تمتلكني».

«فلنفترض ان هذا صحيح، فأنا لم احصل على هذه المتعة. على ما يبدو لي، ولكن بالمقابل انت لم تترددي في ان تمنحي نفسك لرجل آخر! لقد وجدتكم معاً امام عيادة! لقد كانت هيلين على حق عندما حذرتني. وندمت لأني لم استمع لها عندما قالت بأنه يكفيني ان آخذك كما فعل هو!».

«مايك لم يلمسني ابداً!» اعترضت ليزا غاضبه.

هكذا اذن انها هيلين التي جعلته يظن انها ومايك عاشقان! لقد كانت متأكدة من ذلك دائماً.

«لا؟ من هو اذاً؟ في مساء يوم زفافنا سألتك اذا كنت لا تزالين عذراء فأجبت بلا».

www.elromancia.com

«لأنك كنت انت عشيقي».

«من اجل السماء!» صرخ رونالد.

«لن تكفي عن ذلك؟ لقد مارست الحب معك على متن المركب لايدي ونسيت كل شيء!».

وابتسم ساخراً.

«لو كنت تدرين كم كنت ارغب بك، لما كنت فعلت شيئاً مماثلاً، كنت قد اصبحت بالنسبة لي حاجة ضرورية. وكنت اردد انك لا تزالين صغيرة، مجرد أخت صغيرة، ولكني كنت ما ان انظر اليك حتى يرتعش كل جسدي.. وتدعين باني نسيت.. بأنني تسببت بحملك بهذا الطفل ثم نسيت! هل تعلمين كم تعذبت كي احتفظ بك لنفسي؟ كم قضيت من ليال ساهراً. وكم قضيت من ايام ارهق نفسي بالعمل كي لا افكر بك؟ وكنت قد وعدت والدي بان لا اجعلك تنفرين من رغبتي بك. كنت اتقطع قطعاً قطعاً! ولماذا؟ من اجل مراهقه عاشقه! ولا تزالين تعتقدين بانك ستقنعينني بأني كنت عشيقك؟ يا الهي، ليزا» وكان غاضباً.

«كيف يمكنني ان انسى؟ سيصرخ جسدي ويذكرني! واذا كان هناك امل ضعيف بأن هذا حصل حقاً، هل تعتقدين انني سأغفر لنفسي؟».

كادت ليزا ان تجيبه، لكنها فهمت تماماً معنى كلماته الاخيرة، لقد كان صادقاً، صوته ونظرته!.

«اريد ان اصدقك، ليزا! ولكني وعدت نفسي منذ بداية الرحلة الى سانت لوسي ان لا المسك. لقد اقسمت ان انتظر كي تصبحين زوجتي كي اثبت لك حبي كما

تستحقينه، وبدون ان اجعلك تنفرين مني. وتقولين ايضاً بأنني كنت عشيقك. هل تظنين انني كنت استطيع ان استمر بحياتي لو ان هذا صحيح؟».

بماذا ستجيبه؟ فاذا اكتشف بأنه اخطأ وبأنه قبل بها، سيصاب بالانهيار! ولكن هذا المشهد الذي طلما انتظرته منذ ان ولد روبي لن يحصل ابداً... انه مشهد رونالد يتقدم نحوها ويحترق بخطأه ويتوسل اليهما ان يعودا معه لأنه لا يستطيع ان يعيش بدونهما.. فأغمضت عينيها، فاذا اصرت على قول الحقيقة فانها ستزيد الهوة التي بينهما!.

ورونالد يعتقد في قرارة نفسه بانه لم يلمسها ابداً. ولقد ادركت الآن انه اذا استطاع ان يصدقها ويؤمن بكلامها فانه سيتوقف عن الايمان بنفسه. ولكن ماذا يهم؟ انه لم يكن يحبها، بل كان يحب تلك الفتاة الصغيرة التي كانت تثير رغبته. ولقد فهمت اكثر لماذا كان مايك يتوقع صعوبات في مواجهتها به بالحقيقة.

«والآن، ليزا هل قررت ان تعودي معي؟».

«الم تعطي هيلين رأيها بالموضوع؟».

«هيلين، لا دخل لها بهذا الموضوع، وأنا لا افهم سبب احتقارك لها. على الاقل هي لا تخفي حقيقتها!».

كيف يجرؤ على الدفاع عن تلك الامرأة!.

«بالطبع، بامكان هيلين ان تنام مع اي شخص يعجبها، أوه، لا تقل لي بأنك انت عشيقها الوحيد، بينما أنا...».

«وأنا لا اعتمد على طهارتك وعذريتك»، صرخ رونالد وهو يشد على يدها غاضباً.

«لا؟ ولكنك كنت تردد دائماً بأنك لا ترغب بفضلات رجل آخر!».

«انت زوجتي! واخذت انفاسه تسرع وعيونه تقدح شرراً. لقد كنت اتعذب كي احافظ على طهارتك من اجل... ولكن ماذا استفدت؟ ليس ما قمت به هو الذي جعلني افقد عقلي، ولكنها الطريقة التي حاولت فيها ان تسخري مني، وان تحمليني ابن مايك على ظهري!».

بدون ان تشعر مدت يدها وصفعت خده، وظلت واقفة كالمشلوله، تنظر اليه لكنها لا تراه. لم يكن قد سبق لها من قبل ان استعملت القوة. وبلحظه هذه اللمسه الخاطفه جعلتها تشعر بالاغتباط. ورمت نفسها بين ذراعيه. ثم نظرت في عينيه.

«ماذا يجري؟ الا يعرف غريك كيف يمتعك؟ ام انك بكل بساطه تحبين التغيير، اعترفي انت تكادين تموتين لشدة رغبتك بأن تكوني بين ذراعي».

«لا»، انكرت ليزا وهي تكاد تفقد وعيها.

«لن المسك ابداً... حتى لو كنت الرجل الاخير في هذا العالم. قد تحب هيلين هذه اللعبة، اما أنا فلا! والآن دعني، لو سمحت».

«هيلين ليست بحاجة للعب كي تحصل على ما تريده. لقد مرت سنوات خمس يا ليزا».

ولاحظت ليزا نظرته المشعه، فاطبق فمه على فمها محاولاً ان يمنع اي مقاومة منها، وسيطر عليها بقوته، لكنه لم يكن يرغب بتقبيلها، بل كان يريد فقط ان يعذبها، لكن

الحرارة التي احست بها، وصلت الى قلبها المجروح.

«يجب ان اذهب الآن، وعند عودتي اريد ان اسمع ردك» قال لها بجفاف.

«واذا كان ردي لا؟».

وشعرت وكأنه سيضربها، فرجعت خطوة الى الوراء، فابتسم رونالد بمكر واجابها.

«كما سبق وقلت لك، ان من حق الوالد ان يصطحب معه ابنه الوحيد... ستأتي معي، اذا كان عندك ذرة عقل وتفكير».

وخرج رونالد دون ان يسمع كلامها.

لماذا عاد من جديد ودخل حياتها مرة ثانية؟ لم تجرؤ على ان تصدمه مرة اخرى بالحقيقة؟ هذا محال! فبسبب بعض رواسب حبها القديم، كانت تفضل ان تمحيه اكثر لا ان تسبب له الالم... كما وانه يستحق ان يتعذب بدوره! ولكنها ليست قادرة على رد الضربة بالضربة.

«ماما! ماما! استيقظي».

فتحت ليزا عينيها، كان روبي واقفاً امامها بوجهه الحازم وعيونه الزرقاء التي تميل الى الخضار، كل ما ورثه عنها واضح في وجهه.

«لماذا لا تزالين نائمه؟ لقد استيقظت أنا منذ ساعات!».

وكان قد غير ملابسه وحده، فأحست ليزا بقلبها يفيض بالحب، انه ذو عزم واثق من نفسه، انه ابنها الصغير! كم يشبه اباه... ولكن رونالد لن يعترف به ابداً. فبالنسبه له هو ابن مايك. برغم شعره الاسود المجعد الذي يحيط

بوجهه المستدير الذي يشبه وجه وشعر ابيه...

وسمعت ضجة في الخارج، لا بد انه ساعي البريد، فأسرع روبي ونزل الدرج كي يأخذ البريد، فنهضت ليزا من سريرها ودخلت الحمام ووقفت تحت الدوش. ولكنه سمعت خطوات روبي يصعد من جديد، انه يتكلم وحده فابتسمت وهي تستحم.

فأسرع روبي وفتح باب الحمام فجأة، فطلبت منه ان يناولها المنشفة، وعندما قامت من تحت الدوش تجمدت في مكانها، ان رونالد يقف الى جانب الصغير. فناولها رونالد المنشفه فلفت نفسها جيداً ونظرت الى هذا الزائر بغضب.

«ماذا تفعل هنا؟ كيف دخلت الى هنا؟» تنهدت وهي تدفع الصبي نحو الباب.

«روبي هو الذي فتح لي الباب». اجاب رونالد بهدوء.

«اريد ان اتناول الفطور يا ماما».

«انزل يا روبي، سألحق بك بعد دقيقة» ونظرت نحو رونالد.

«اريد ان ارتدي ملابسي»، قالت له ببرودة.

لكنه ظل واقفاً، فأضافت ليزا:

«لو كنت اقل فظاظة وخشونه لما كنت صعدت الى غرفتي، اريد الآن ان ارتدي ملابسي بدون وجود رقيب».

«انك تدهشيني».

بعد ان غادر الغرفة، بقيت وحيدة ترتجف من الغضب. ولحظة عاد كل الماضي الى خيالها، واخذ قلبها يدق

بسرعة، لقد عادت لسن السابعة عشره من جديد.

لكنها الآن في الثانية والعشرين من عمرها. وهي ام لطفل في الخامسة من عمره لا يريد ابوه ان يعترف به، وعليها ان لا تنسى ذلك!.

فارتدت قميصاً وبنطلون جينز، وكان شعرها لا يزال رطباً ويسترسل على كتفيها ونزلت الى المطبخ فشمت رائحة القهوة والخبز المحمص، وتفاجأت عندما وجدت روبي يلتهم الفطور بينما رونالد يقف امامه يحدثه.

فنظر اليها الاثنان بنظرة واحدة. لو ان رونالد يرى ما تراه في نظريتهما من تشابه، لن يقول بعد الآن بان روبي ليس ابنه. ولكنه يفضل ان يبقى اعمى واطرش. فقط هيلين هي التي تملك تأثيراً عليه. لقد ارتكب غلطه بالزواج. وهل يبحث الآن عن وسيلة كي يصحح هذا الخطأ؟ حتى الآن لم يفعل شيئاً من اجلها، لقد جاء يبحث عنها من اجل لايت فقط...

«سنركب في طائرة كبيرة».

قال لها روبي بهدوء، عندما جلست حول الطاوله.

«سنذهب مع ابي».

فانتفضت ليزا ونظرت بدهشة اليهما.

«اهدائي»، طلب منها رونالد «لقد شرحت لروبي باني والده».

«انت لم تحدثني ابداً عن ابي» قال روبي.

انها براءة الطفوله! قالت ليزا لنفسها محاوله اخفاء غضبها. كيف تجرأ وأتى الى هنا وبدأ باعطاء الاوامر،

واخبر روبي بأنه والده دون ان يفكر بنتائج هذا العمل.

«ماذا يجري؟» سألها رونالد وهو يتبعها نحو المطبخ وهي تملىء ابريق الشاي بالماء، ويداها ترتجفان بعصبية ظاهرة.

«لا شيء... لماذا اخبرت روبي بأنك ابوه؟».

«اذا لم يعتقد هو بذلك، فلن يصدقنا احد آخر، كما وان لايت بحاجة الى سبب كي يعيش من اجله، واتمنى ان يقدم له روبي هذا السبب».

«لقد فكرت بكل شيء، اليس كذلك؟ فأنت لا تترك شيئاً للصدفة».

كم هو قاسي، كيف يفكر ان يسبب لها الالم كي يحصل على ما يريده؟.

فتأملت وجهه جيداً وفهمت اخيراً، انه يكرهها، ولم يأت الى هنا الا من اجل ابيه المريض ويريدها ان تذهب معه هي وابنها روبي، ويريد ان يعترف بأنه والده مع انه في قراره نفسه يعتقد ان مايك هو والد روبي.

لكن روبي ابنه هو، ويحق له بان يعيش في سان مارتان.

«لا تخشي شيئاً، ليزا... انا لا اهتم بالاولاد واتحمل مسؤولية اخطاء اهلهم، ولكن كل ما يهمني هو ان تتحسن صحة ابي».

«ولهذا، تريد ان تسبب لي العذاب في سان مارتان؟».

«انت التي قلت ذلك! نعم، انا مستعد الآن ان اقبل بما كنت اقسمت على ان لا اقبله ابداً، لقد قررت ان اعترف

بابنك».

«يا لهذا الكرم، لن يتوقف روبي عن الاعتراف بجميلك هذا، شرط ان تترك له الوقت كي يفهم ابعاد تضحيتك هذه! لماذا لم تقل له بأنك صديق فقط؟ فالاطفال ليسوا بأغبياء! ولقد اعتاد روبي على فكرة انني الوحيدة المسؤولة عن تربيته، والآن سيطلب منك ان تقوم بدور الاب على اكمل وجه».

«سيكون الامر كذلك، طالما انكما في سان مارتان».

وبعد ذلك؟ رونالد سيستخدمها ويستخدم روبي لانقاذ حياة لايت، ولكنه بعد ذلك لن يتردد في طردهما.

«لقد حجزت الاماكن على الطائرة هذه الليلة، وعليك ان تقومي ببعض التبضع وتشتري لروبي بعض الالبسة الخفيفة، لقد اتصلت بالمنزل واعلمتهم بموعد وصولنا، واذا توصلت الى اقناع لايت باجراء هذه العملية سأكون كريماً جداً معك».

«ان ما سأقوم به، انه من اجل لايت فقط، ولن تضطر الى ان تدفع لي! فان حبي له يكفيني».

«انك تحبينه لدرجة انك هربت دون ان تكلميه! انه برهان جيد عن حبك له! هل فكرت به؟ وبالاشاعات التي كثرت خاصة بعد سفر مايك بعدك بعدة اسابيع».

لقد رحل مايك عن الجزيرة، انها كانت تجهل ذلك.

«لا تدعي البراءة» قال رونالد، «لقد علمت بأنكما التقيتما في باريس، لقد شاهدتكما هيلين معاً هناك!».

«بالطبع، انها كاذبة، فأنا لم ار مايك منذ ان رحلت عن

الجزيرة» اجابت ليزا.

هز رونالد كتفيه، وكأن الموضوع لا يهمه. وانتبهت ليزا الى روبي الذي ينظر اليهما مذعوراً.

«لماذا انت غاضبة يا ماما؟» سألها روبي وكانت شفته السفلى تهتز.

فلامت ليزا نفسها بمرارة لأنها فقدت اعصابها امامه. وارادت ان تطمئنه لكن رونالد كان اسرع فحمل روبي بين يديه واسند وجهه الصغير الى وجهه.

«انا ووالدتك نتناقش بأمر خطر، وامك منزعجة قليلاً».

هدأ الصغير، ولكنه اراد معرفة المزيد.

«اذا كنت حقاً أبي، فلماذا لم تأت لتراني من قبل؟».

«لم اكن استطيع، اما الآن فها انا هنا و...».

«وانت تريد ان تعيدني معك الى البيت» سأله روبي.

من الواضح ان الدرس كان قد بدأ يعطي نتائجه.

«ان والدي يسكن في جزيرة حقيقية»، قال روبي لليزا «سأتعلم السباحة ولكن الن اذهب الى المدرسة؟».

المدرسة! كانت ليزا قد نسيت هذه الفكرة تماماً، لكنها كانت تعتقد انهما لن يمكثا طويلاً في سان مارتان.

«توجد مدرسة في الجزيرة، وعندما ستكبر ستتابع دراستك هنا في انكلترا، مثلي تماماً».

ثم انزله رونالد ووضعه على الأرض، اسرع فوراً الى العابه.

«لماذا قلت له ذلك؟ ان له ذاكرة قوية»، سألته بكره.

«وانت تزعم بأنك لا تريد ان تنتقم منه بسببي! ولكن

كيف تتصوره سيتصرف عندما يفهم بأنك كنت تكذب عليه».

«ستتدبر امر ذلك الموقف عندما سيواجهنا. ولكن ما الذي يعذبك اكثر، ان اسبب الأذى لرونالد، ام عدم نجاحك بأن تقنعيني بأنه ولدي، لأن هيلين اخبرتني بكل الحقيقة».

فضحكت ليزا بمرارة.

«الحقيقة! ليتك تعرف الحقيقة؟».

وكادت ليزا ان تواجهه برفضها الذهاب معه. لكن فكرة مرض لايت كانت تشد على الوتر الحساس. لايت وروبي... يا للثروة التي سيحصل عليها! وهل من حقها وبسبب انانيتها ان ترفض؟ ولكنها كانت في قرارة نفسها قد اتخذت قرارها.

وبدأت تستعد للسفر، فعرض عليها رونالد ان يهتم بروبي بينما تذهب الى السوق، في وسط شهر تشرين الثاني ليس من السهل ان تجد ملابساً صيفية للصغير، على كل حال لن يمكثا طويلاً هناك.

اسرعت في العودة الى البيت، وكان الظلام قد حلّ، ففكرت انه يجب عليها ان تطلب من جارتها ان تنتبه الى منزلها في غيابها.

وعندما دخلت الى الصالون تفاجأت بمنظر لم تكن تتوقعه! كان رونالد نائماً على الكنبة، وروبي ينام في حضنه ايضاً فتذكرت كل ما فقدته وانقبض قلبها، لكنها تمالكت نفسها، هل هي المخطئة اذا رفض رونالد

تصديقها وفضّل ان يستمع الى هيلين؟.

ان شيئاً في هذا الرجل يجذبها اليه بقوة، اقتربت منه وانحنت فوقه، لكن قلبها توقف عن النبض عندما فتح عينيه. التقت نظراتهما للحظة، ثم قال رونالد بصوت هادىء.

«انت تتساءلين ماذا ستفعلين بعيداً عن غريك؟ انه عشيقك الأخير؟ على ما اعتقد».

غضبت ليزا واجابته.

«على الأقل هو شريف وطيب، وهو افضل من هيلين، الا تزال تحتل المرتبة الأولى في حياتك؟».

«وهل اصبحت غيورة؟».

«من ماذا؟ من مآثرك الجنسية معك؟ لو كنت مكانك لما فرحت بذلك، وانا لا اشعر بالغيرة».

هذه المرة استطاعت ان تفحمه، ولكن هذا الشعور لم يدم طويلاً.

«الم يقل لك احد مدى الاثارة القوية التي يقدمها الخيال؟».

«هذا كثير!».

«اذا كنت تعتقد بأني اتخيل نفسي بين ذراعيك، فانت مخطىء!» اجابته بسرعة.

«ابداً؟» سألها بهدوء وهو يتأمل عينيها الملتهبة ووجهها الأحمر، بلعت ريقها بعصبية، وتذكرت تلك الليالي التي قضتها وهي تحاول بيأس ان تنام، وكانت تشعر دائماً بأنه رونالد سيزورها ويداعب جسدها، ويبادلها القبل...

وتلألأت نقط العرق على جبينها، فهي لن تستطيع ان تفكر بشيء، واخذ رونالد يتأملها، فلم تستطع المقاومة اكثر، اقتربت منه اكثر، لكن روبي تحرك فانتبهت لنفسها.

«انتبهي يا ليزا! انت الآن امرأة، ولديك رغبة مثل باقي النساء! ولكن لا تعتمدي علي لارضاء رغباتك».

وقبل ان تتمكن من الإجابة، خرج رونالد واغلق الباب وراءه.

«ماما اشعر بالتعب!».

«لن نتأخر في الوصول، اجابه رونالد وهو يرفع رأسها عن المقعد الذي جلس عليه منذ بداية الرحلة. ثم التفت نحو ليزا واضاف.

«سنقضي الليلة في سانت لويس، فالمركب لايدي راسياً في كاستري، وسنذهب الى سان مارتان غداً».

«المركب اللايدي؟ الا زلت تحتفظ به؟».

«انا لم اغرقه بعد رحيلك! وقد اجرته عدة مرات، فان الشباب يحبون ان يسافروا فيه لقضاء شهر العسل».

«ما معنى قضاء شهر العسل، ماما؟».

«هذا يعني قضاء العطل والاجازات يا روبي».

وتساءلت كم من الوقت يريد رونالد ان يبقيهما في سان مارتان وتتحسن صحة لايت؟... عليها ان تسأله وهم في لندن، اما الآن فقد فات الأوان.

«حدثني عن لايت... هل حالته خطرة؟».

«لدرجة انه يحتاج الى اجراء عملية جراحية والى البقاء في غرفة العناية الفائقة في المارتينيك... انهم يريدون ان

يجروا له هذه العملية لكنه رفض وطلب ان يراك» اجابها رونالد.

الفصل السابع

فتلألأت الدموع في عيونها، لايت العزيز! كم تشتاق اليه.

«هل يعلم بوجود روبي؟».

«لا، فان هذا سيكون مفاجأة اضافية، وسأقول له بانك لم تكتشفي بانك كنت حاملاً الا بعد خصامنا، وهذا معقول، لانك رحلت في اليوم الثاني، وهو يعتقد اننا نمنا معاً ليلة واحدة من الاثارة، وسيعتقد ان سعادتي بك وولدي كبيرة».

«هل انت متأكد بانه سيقبل هذا الوضع».

«نعم، لان هذا الوضع سيجعله يشعر بالسعادة الكبيرة».

«وانت ستقول له بان روبي هو ابنك، مع انك اقسمت علي ان لا تعترف به».

«لايت هو ابي، واريد ان يعيش، وانا لا اريد ان اراه

يصدم . . . يا لملاك البريء الطاهر الذي هو انت، التي كان يعتبرك ابنته بينما انت والدة طفل غير شرعي».

«هل ستقول الحقيقة لهيلين؟».

«ان وجودك في سان مارتان لا يعنيها، وعلاقتي بها لا تعنيك».

بعد ساعتين وصلا الى سانت لويس، كان كل الموظفين يعرفون رونالد، واتجه الثلاثة نحو سيارة الرنج روفر التي كانت تنتظرهم.

حمل رونالد الصبي الصغير ووضعه في الخلف ثم التفت نحو ليزا التي كانت تستعد للصعود عندما اقتربت سيارة البورش وتوقفت امامهم وهي تصدر صوتاً مزعجاً نتيجة توقف الدواليب بسرعة، فتعرفت ليزا على صاحبة الشعر الاحمر واحست بالانقباض.

وما ان نزلت هيلين من السيارة حتى اسرعت نحو رونالد ودون ان تلتفت نحو ليزا، وقبلته، وفجأة عاد الزمن الى الوراء، وعادت ليزا المراهقة الخجولة خاصة وقد اندعكت ملابسها بعد هذه السفرة الطويلة.

«رونالد! انا سعيدة لانكما محتجزان هنا، لقد جئت لتوي من كاستري، حيث يرسو المركب لايدي، لقد تعطل محركه، ولكنهم يعملون على اصلاحه، هل تفكر في تأجيره خلال الاسابيع المقبلة؟».

الى ماذا تريد هيلين ان تشير باظهار علاقتهما المتينة بهذا الشكل؟.

كان روبي ينظر اليهما من داخل السيارة، فاقتربت ليزا

منه فتبعتها هيلين بنظراتها وشحب لونها عندما تأملت وجه الصغير، وتعرفت فيه على ملامح رونالد.

«ليزا! لقد تفاجأت برؤيتك».

«انا لا اشك بذلك. . . روبي قل صباح الخير لهيلين».

ففعل الصغير وقد اثارت فضوله.

«صباح الخير، هل انت صديقة والدي؟».

فبهتت هيلين واحست ليزا للحظة بالشفقة عليها.

«انه يناديك بابا! ماذا يجري؟ لم يكن عليك ان تصطحبه معك!» سألت هيلين رونالد مندهشة.

«لم يكن باستطاعتي ان اتركه هناك وحده، وبما انه هنا، وينادني بابا بدل عمو فأبي سيشفى بالتأكيد».

«هل اوصلك الى الكاستري؟» سألته هيلين وهي تشير الى سيارتها، ثم اضافت.

«بامكان ليزا وروبي ان يذهبا مع سائقك».

ارتجف روبي فالجو الحار والتعب وانتقاله الى مكان آخر جعلوه يتعلق بوالديه كثيراً وكأنهما سترة انقاذ. اخذت ليزا تطمئنه وكانت دهشتها كبيرة عندما جلس رونالد بقربه.

«مرة اخرى يا هيلين، يجب ان نذهب مباشرة الى الفندق».

«اتعتقدين انك قوية ولكن رونالد لا يملك الوقت كي يهتم بالأطفال، وخاصة اطفال الآخرين» تنهدت هيلين ووجهت كلامها الى ليزا.

«روبي هو ابنه، فلن تغيري شيئاً لا انت ولا هو» اجابتها ليزا بجفاف.

«انت تكذبين، فقد هجرتيه بنفسك! يوم زواجك! وتريدين ان تقنعي لايت بذلك؟».

«انها الحقيقة!».

عاد الصبي الصغير لهدوئه، واخذ ينظر حوله بفضول، وطيلة الطريق لم يتوقف عن الثرثرة بينما كانت ليزا تتأمل المناظر الطبيعية.

منذ سنوات عديدة سلكت نفس الطريق مع لايت بعد وفاة امها، ولم تكن تتوقع حينها شيئاً مما كان ينتظرها، وبمدة ستة اشهر فقط تحولت الفتاة الصغيرة الى امرأة تحت سحر الرغبة في هذا الرجل الذي يدينها.

وانهمرت الدموع على وجهها، لكنها مسحتها بسرعة عندما وصلوا الى الممر الذي يؤدي الى الفندق.

جلسوا في شقة تطل على البحر مؤلفة من غرفتين، وصالون وحمام ومطبخ، وما ان احضروا حقائبهم، بدأت ليزا تحضر روبي للنوم. فحممته وأرادت ان تعد له وجبة خفيفة، فدخلت احدى العاملات في الفندق وهي تبتسم وتحمل صينية.

«السيد رونالد امر ببعض الطعام للصغير».

«التوست، والبوظة»، قال رونالد في الغرفة الأخرى، «انها ليست بالوجبة الدسمة، ولكني اتمنى ان تفي بالحاجة».

هذا الاهتمام ادهش ليزا. لكنه لم يترك لها الوقت كي تعبر عن امتنانها.

«انه من الطبيعي ان اهتم براحة ولدي، فقد حرمت منه

خمسة سنوات، بالمناسبة...».

قربت ليزا الصينية من روبي، ثم التفتت نحو رونالد.

«ماذا؟».

«اوه، لا شيء! سأقوم ببعض الاتصالات واعود بعد نصف ساعة اتريدين ان نتناول العشاء في المطعم او...».

«افضل ان اتناوله هنا، اذا امكن فان فكرة تبديل ملابسي...».

«معك حق، بما اننا تصالحنا، سيعتقد البعض اننا نفضل ان نبقى في هذه الشقة».

«لكننا لم نصل بعد الى سان مارتان».

«هل نسيت ان كل شيء يعرف في هذه الجزر! وانا لن اسمح لأية غيمة سوداء ان تعكر سعادة لايت، هل فهمت؟».

اعتقدت ليزا انها فهمت، لكنها بعد ذلك بمدة طويلة، اكتشفت معنى كلامه هذا.

بعد ان نام روبي، شعرت ليزا ببعض الراحة، وبعد ان استحمت جلست على الكنبة واخذت تتصفح احدى المجلات. ولكنها ما ان قرأت اول سطورها حتى نامت نوماً عميقاً. ولم تستيقظ عندما فتح رونالد الباب ودخل.

اقترب منها، كانت نائمة وهي ترتدي قميص نوم قطني يظهر انوثتها البارزة، فحملها وهو مقطب الوجه يتأمل شعرها الذي سقط كالشلال على يديها وعلى جسدها الناعم الذي لا يقاوم ووضعها على السرير في غرفة النوم.

وكانت انفاسه تتقطع.

«عليك اللعنة يا ليزا! لقد نجحت يوماً في ايلامي، ولكني لن اسمح لك بأن تكرري ذلك».

«ماما!! ماما انهضي! فأنا وأبي قد تناولنا الافطار».

وجدت ليزا صعوبة في فتح عينيها، كي ترد على روبي، وتساءلت اذا كان جسمها لا يحاول ان ينقل لها صوته، قد تكون الاحلام مثلاً افضل بكثير من الواقع.

«انهضي يا ليزا،» قال رونالد، ثم اضاف.

«سنذهب بعد نصف ساعة».

عندما فتحت عينيها، رأتهما واقفان عند عتبة الباب، وكان روبي يستند على ساق ابيه، وشعرت للحظة انهم يشكلون عائلة سعيدة كما كانت تتمنى دائماً، ولكن هذا المشهد بدا لها وكأنه لا يحتمل، فأدارت رأسها بسرعة.

مع مرور السنين كانت ليزا قد نسيت ذلك الاحساس بالضعف الذي كان يعتريها كلما شاهدت رونالد. ولكنها الآن تعود من جديد وترتجف في كل مرة تتذكر الماضي، ولكن الماضي قد مات، وعليها ان تمحيه من ذاكرتها.

«ليزا!».

انتفضت فجأة وعادت الى الحاضر، لقد تقدم رونالد نحوها بحزم وبسرعة، وكشف الغطاء عنها. ثم ضحك روبي من المرح.

«هيا، انهضي انا لا اعرفك هكذا، كنت في الماضي تستيقظي باكراً»، ثم رمى الغطاء، فاعتقد روبي انهما يلعبان، فأسرع ورمى نفسه على امه وتعلق بهما.

وقع رونالد من تأثير هجوم روبي عليه فوق ليزا واصبحوا الثلاثة في وضع يحسد عليه من السعادة انتفض رونالد بمجرد ان لامس جسده جسدها الدافىء ثم ابتعد قليلاً، فترنح قلب ليزا عندما لمحت الحزن في نظراته، لكنه عاد وظل يتأمل روبي بحب، رغبت ليزا بأن تقول له مرة اخرى بأنه ابنه، ولكنها لم تجرؤ فإذا كان يرفض ما يراه، فهي لن تتمكن من اقناعه، انه يتهمها دائماً، وهي تعرف ماذا سيحصل اذا قبل الحقيقة.

«بابا لماذا تنظر الي هكذا؟ ابي حزين، لماذا يا أمي؟» سأله روبي بصوته البريء.

«هيا، انزل يا روبي، ودعني ابدل ملابسي».

«بابا لماذا انت حزين؟» الح الطفل بالسؤال.

مرت ليزا امام رونالد كي تدخل الحمام، لكنها توقفت قليلاً وسألته.

«رونالد، ماذا يجري؟» وامسكت ذراعه وكأنها تفعل ذلك كي تهدىء روبي وتطمئنه، ولكن عضلات رونالد كانت متقلصة وكأنها افعى، فاحمر لونها وابتعدت عنه.

«لا شيء، فأنا اشعر احيانا بالضعف والأسف على بعض الأمور، كان يجب ان يكون روبي ابني انا، انه طفل رائع، ويشبهك كثيراً».

هل حقاً تعذب بعد فراقهما؟ هيا، انه لم يحاول حتى ان يبحث عنها، مع مايك او بدون مايك، لو كان يحبها حقاً. لكان بحث عنها في كل الأرض والسماء كي يعيدها.

«لكنه لا يشبه بيتر»، قال رونالد بصوت متقطع، وكأنه

يؤكد اشمئزازه الباطني.

«انا ارى انه يشبه والده كثيراً».

كانت متأكدة من انه لاحظ ذلك. فروبي هو نسخة مصغرة عن رونالد، ولكن هل علاقته بهيلين هي التي تعميه؟ هل يرغب الزواج منها؟ ولكن ماذا سيمنعها التفكير بالمستقبل؟ لقد عادت ليزا الى الكرايب وكانت قد قررت ان روبي سيكون هنا سعيداً.

لايت!... تذكرت فجأة، بأنها ما ان وصلت الى الكاريب كانت قد كتبت له رسالة، تشرح فيها كل شيء، لكنها لم تستلم رداً على هذه الرسالة. هل يكرهها ايضاً كما يكرهها رونالد؟.

«ان بيتر لم يضيع الوقت ولحق بك بسرعة لقد رأيته قبل سفره لقد جاء ليكلمني: وكان قد نصحك ان تقولي الحقيقة وكان قلقاً عليك، ولكنه لم يكن قلقاً لدرجة ان يتحمل مسؤوليته ويعطيك اسمه، لكنه ترك ذلك لي انا. لماذا قبلت الزواج مني؟» قال رونالد.

كان روبي ينظر اليهما، التفتت ليزا نحوه ثم اجابت رونالد.

«اوه، ان السبب بسيط جداً، لأنني كنت احبك».

الغضب الذي تطاير من عيون رونالد جعل دمائها تتجمد في عروقها.

«ايتها الكاذبة، انت لم تحبيني ابداً، والا...» توقف فجأة، ثم اضاف.

«هيا، غيري ملابسك، يجب ان نذهب قبل ان تفوتنا

الطائرة».

كيف كان يشرح رحيلها؟ في الأسابيع الأولى كانت ليزا تستبعد هذا السؤال، وبعد مدة قررت ان تنسى الماضي، لماذا الآن... فعضت على شفتيها.

مجرد وجودها معه في غرفة واحدة يجعل جسدها يرتعش.

لم يتغير شيء، قالت ليزا لنفسها وهي تنظر في الطائرة التي تحلق فوق المنزل كيف سيستقبلونها؟ هل ينتظرها لايت حقاً؟ لماذا لم يرد على رسالتها؟ وكان روبي ايضاً يشعر بالانقباض فتمسك بتنورتها، بينما كان رونالد يتحدث مع الطيار.

كانت ليزا قد اختارت لنهاية هذه الرحلة الطويلة، سترة من القطن الأزرق المقلم باللون البنفسجي، يتناسب مع لون عينيها ولون شعرها الأشقر، ورغم ولادة روبي، ظل جسمها متناسق ورشيق.

«لا تنسي انك زوجتي»، اشار رونالد باحتقار وبرودة.

ثم امسك بيدها وجذبها نحوه واضاف: «نحن متفقان رغم كل شيء».

انتظرت ان تجد لايت مسمراً في سريره، لكن عندما عبرت السيارة الممر الطويل رأته واقفاً عند اسفل الدرج، يبدو عجوزاً وهو يسند جسمه الثقيل على الدرابزين، فلاحظت ليزا نظرة الرضى في عيون طفلها، ثم اختفى العالم كله من جديد خلف دموعها.

ماذا جرى لها؟ لماذا تبكي؟ اتبكي براءتها؟ ام تبكي

www.elromancia.com

حبها الميت؟ هذا الحنان الذي يشع في عيون رونالد... ليس الا تمثيل كاذب، انهما يعودان الى البيت متفقين، وقد قرر ان يلعب دوره هذا حتى النهاية.

«انك تبدين وكأنك عدت الى سن السادسة عشرة»، همس رونالد بأذنها واخذ جسدها يرتجف من نبرة صوته الساخر، وكان عليها ان تبذل جهداً كبيراً كي لا تلتفت نحوه وتتوسل اليه ان يمنحها فرصة اخرى، وان يحبها من جديد.

«نحن متفقان، ولكن اذا بقينا هنا طويلاً، سيرسلون دورية للبحث عنا».

نزل رونالد من السيارة ثم دار حولها وفتح الباب لليزا، فشكرته ببرودة ورتبت تنورتها، ونظرت الى الأرض كي تخفي دموعها.

«ليزا».

وضع يده على كتفيها، ثم رفعت رأسها: انه قريب جداً منها، ويمكنها ان تلاحظ خط نسيج جلده. انه مثل روبي له رموش طويلة فاتنة.

ارتبكت عندما لامستها اصابعه، فرفعت عينيها نحوه، ولمست يدها عنقه، ولم تكن شفتيها ببعيدة عن شفتيه. ويكفيها ان تغمض عينيها حتى تجد نفسها بين ذراعيه.

هل رونالد لفظ اسمها ام انه الهواء الذي يحرك اشجار النخيل؟ شعرت بالحرارة في جسدها... وبلعت ريقها، واحست بالدوخة، تريد ان تتخلص من هذه الغفلة... ولكن فات الأوان، فأخذ رونالد يداعب شعرها وأحاطها

بيده الأخرى وجذبها بقوة نحوه، ثم احنى رأسه، فلم تقاومه ليزا، وكانت تسمع من بعيد صوت الأمواج التي تتكسر على الشاطىء، وسمعت عن قرب دقات قلب رونالد، بينما كان قلبها يدق كالطبل، وكان كل جسدها يرتجف رغم الحرارة التي تحس بها، والتي انتزعت كل قوتها وجعلتها تستسلم لهذه القبلة.

عندما ابتعد عنها احست وكأنها طرية كاللعبة، فقدت كل قوتها ولم يبق لها سوى طاقة قليلة مكنتها من النظر اليه بعيون مشعة، ثم التفتت نحو السيارة التي لا يزال روبي في داخلها، وعندما امسكت باب السيارة قال لها رونالد:

«اهلاً وسهلاً بك يا ليزا».

ارتعشت وبدون تفكير، ساعدت روبي على النزول، وما ان لمست قدماه الأرض حتى التفت نحو ابيه وقال له بهدوء.

«لقد قبلت امي».

«انها اشياء تحصل دائماً بين الآباء والأمهات»، اجابه رونالد وهو ينظر مباشرة في عيون ليزا، «هل سبق لك ان رأيت امك وهي تقبل رجلاً؟».

كبتت ليزا غضبها بحقد، وهز روبي رأسه.

«ان امي لا تقبل احداً غيري!» ثم نظر الى رونالد واضاف.

«انها امي انا».

«الى متى ستخفين عنه الحقيقة؟ انه لا يزال صغيراً وبامكانك ان تتركيه في سريره عندما يزورك احد عشاقك،

ولكن هذا لن يدوم طويلاً» سألها رونالد بصوت منخفض.

وكادت ليزا ان تفقد اعصابها، لكنها وجدت ان لايت ينتظرها.. وبسببه امتنعت عن الرد على رونالد، وسيندم يوماً لأنه اهانها بهذا الشكل امام روبي.

«ليزا!».

كان صوت لايت معبراً عن مشاعره نحوها، وعيونه الجميلة التي تشبه عيني رونالد وعيني روبي امتلأت بالدموع.

«سيدة ليزا!».

كان صوت ماما كاز كأنه الصدى، كانت ابتسامتها تصل الى خلف اذنيها.

«انها معجزة حقيقية، وانا لا اصدق عيني! ومن يكون هذا؟».

«انا روبي»، اجابه الصغير باندفاع، «وهذه امي وهذا أبي».

«قل لحفيدك صباح الخير هل استلمت البرقية؟» لقد اقسم لرونالد انه لن يطرح مزيداً من الأسئلة، «فالماضي هو الماضي، ولكني سعيداً جداً لأني اراكما معاً هنا، وابنكما ايضاً، وانا ما زلت غير مصدقاً».

تقطع صوته، وسالت دموعه على وجهه. وتقدمت ليزا نحوه.

«ذهبت في بادىء الأمر لأبحث عنها لأنك كنت تريدها. ولكني عندما وجدتها، اقسمت ان لا ادعها ترحل مرة اخرى».

«كيف كان شعورك عندما علمت بأن لك طفلاً؟».

اخذ رونالد يداعب شعر الصغير.

«كنا نريد ان نعود على متن المركب لايدي، ولكنه معطل. لقد اخبرتني هيلين بذلك عندما استقبلتنا في المطار في سانت لويس».

«هيلين؟» ونظر لايت نحو ليزا.

«لا شيء مهم... في الماضي كنت اغار منها، ولكني الآن كبرت والمهم ان رونالد تزوجني انا».

«وانت منحتيه طفلاً... يا ليزا المسكينة، كيف هربت بهذا الشكل؟» اضاف لايت.

فقطبت ليزا حاجبيها، لايت يعلم تماماً لماذا رحلت وتركت رونالد... لقد شرحت له ذلك في رسالتها.

كانت ماما كاز قد حضرت على شرفهم وليمة فخمة، وعندما رأت ليزا انها قد اعدت كل الاصناف التي كانت تفضلها لم تتمالك نفسها واخذت دموعها تسيل على وجهها، اما روبي فبرغم انه لم يكن يحب كثيراً الطعام، الا انه جلس بحماس حول المائدة وكان منذ وصوله لا يفارق رونالد ويتبعه كيفما سار وكأنه ظله.

بعد الغداء اعلن لايت انه يريد ان يستريح.

«انها اوامر الاطباء يا ليزا، وبالتأكيد اخبرك رونالد بانهم يريدون ان يجروا لي عملية جراحية في فلوريدا مع ان امل نجاحها لا يتعدى الخمسين بالمئة».

«انت تعرف ما قاله الطبيب جايمس، يجب اولاً ان تستعيد قوتك» قاطعه رونالد.

«احياناً أنا انام في فترة بعد الظهر» قال روبي موجهاً كلامه نحو لايت.

وكان روبي اثناء تناول الغداء يشعر بالخوف من الصمت الذي كان حوله، ولكنه الآن شعر بالراحة اكثر.

«انت جدي، أليس كذلك؟».

«نعم، وأنت حفيدي».

«هل سنقيم هنا دائماً؟» سأل الصغير والدته.

«انا...».

«نعم» اجابه رونالد فوراً ثم غير الموضوع.

الفصل الثامن

لماذا يصر على الكذب؟ فان روبي صغير على تكهن اسباب هذه المهزلة، هل هذه هي نواياه الحقيقية؟ فصعدت مع ابنها الى غرفتها فاخبرت بأن الطبيب جايمس لا يسمح للايت بمغادرة السرير لانه يخشى ان تسوء حالته.

«انه مريض جداً».

فهزت ليزا رأسها فطالما ان حياة لايت في خطر، لن يقدم رونالد بأي عمل، ولكن اذا قبل لايت باجراء العملية وشفي من مرضه... ماذا سيحصل؟ هل سيطلب منها ان ترحل ويتزوج هو من هيلين؟.

توقفت ماما كاز امام احدى الغرف، وفتحت بابها، انها غرفة واسعة كانت ليزا تعرف انها كانت دائماً فارغة، لكنها الآن مفروشة بأثاث فاخر وفيها سرير كبير مغطى بشرشف جميل مزين بالدنتيل، وهذه الغرفة تفتح على شرفة واسعة.

www.elromancia.com

«لقد اشرف السيد لايت على ترتيب هذه الغرفة خصيصاً لك، كهدية لزواجك».

شرحت لها ماما كاز، «ولكن عليك ان تقرري مع السيد رونالد، فأنت تعلمين يا ليزا، كان لايت غاضباً منه عندما عاد بدونك، وقال بانك صغيرة على السرير الزوجي... ولكن الوضع الآن تغير مع وجود هذا الصغير».

كان روبي ينظر اليهما ويستمع الى حديثهما بانتباه.

اهذا ما يعتقده لايت؟ وهل رونالد اقنعه بذلك؟ انه اذن لم يستلم رسالتها، هذا رونالد اخفى الرسالة عن ابيه؟ ولكن ماذا ستستفيد من احياء الماضي، ومن المخاطرة بحياة لايت من اجل قصة مضى عليها خمس سنوات؟.

«بامكان روبي ان ينام هنا» قالت ماما كاز وهي تشير الى غرفة صغيرة في جانب الغرفة، انها عبارة عن غرفة الملابس القديمة التي تحولت الى غرفة صغيرة كافية للصغير وقريبة من غرفة امه.

وفي الغرفة باب يفتح على غرفة الحمام التي تتناسب مع فخامة الغرفة الكبيرة، هل هي ايضاً هدية لايت؟ فانقبض قلبها وتساءلت كيف كان سيتصرف وكيف ستكون ردة فعله لو انها لم ترجع مع رونالد؟.

«نحن سعداء جداً بعودتك يا ليزا، لقد اشتقنا لك كثيراً وخاصة السيد فعندما رحلت كان يشعر وكأنك اخذت نور الشمس معك! ولكنك عدت الآن مع هذا السيد الصغير، انه جميل ويشبه اباه كثيراً» قالت ماما كاز.

عندما نام روبي، اخذت ليزا تدور في الغرفة وكأنها اسد

يدور في قفصه، كانت متعبة وعصبية فلم تستطع النوم، وفجأة استسلمت لاندفاعاتها وفتحت باب الغرفة ونزلت.

كان المنزل يبدو خالياً، ففي مثل هذا الوقت يكون الجميع قد ناموا، رونالد وحده يشذ دائماً عن هذه القاعدة، وهو كليزا لم يأخذ قسطاً من الراحة طيلة النهار.

وجدت ليزا نفسها تسير في الطريق الذي يؤدي الى الخليج الصغير الذي قرب المنزل، وجلست على رمال الشاطىء الناعمة، وخلعت حذاءها، واخذ النسيم يداعب شعرها، والامواج تتكسر على الشاطىء ببطء... فأرادت ان تعود كالطفلة فخلعت قميصها وتنورتها.

كان البحر يمد لها يديه، فخلعت ملابسها الداخلية، والماء كان دافئاً كأنه الحرير، واخذت تسبح بنشاط ثم اقتربت من الصخور.

كانت تخشى ان تغفو تحت تأثير الماء المنعش، فقررت ان تعود الى الشاطىء، ولم تكن قد احضرت معها منشفة فنظرت الى ملابسها عندما ارادت ان ترتديها، تفاجأت بقامة رجل يقترب.

رونالد انه متجه نحوها مباشرة، يرتدي بنطلونه جينز وقميصاً مفتوحاً على صدره، وعندما شاهدها قطب حاجبيه فندمت ليزا على قلة حذرها.

«ما هذا، من ارى؟ كم تغيرت يا ليزا».

وقف رونالد امامها واخذ يتأملها بوقاحة، فتمالكت نفسها.

«لقد مضت خمس سنوات، وكنت في الماضي خجولة

www.elromancia.com

جداً».

«كنت اريد ان اسبح» صرخت ليزا وهي تتناول ملابسها، «ولكني غفوت قليلاً على الرمال، ابتعد انت فاريد ان ارتدي ملابسي».

«لقد بدأت ماما كاز تقلق عليك، ولحسن الحظ تذكرت انك كنت تحبين هذا المكان كثيراً الا يزعجك الآن ان يراك احد وانت عارية هكذا؟».

«ولكن لا!».

لماذا لا يحاول ان يتركها بسلام؟ فكرامتها قد تعرضت لتجربة قاسية، وكأنها تعيش في كابوس مزعج.

«ماذا تفعلين هنا؟».

«لقد قلت لك: كنت ارغب في السباحة والتنفس».

«صحيح؟ هل نسيت انني كثيراً ما اتردد على هذا المكان؟ ولكن يبدو لي انك جئت الى هنا كي تبحثي عني».

ولكنها فجأة وجدت نفسها بين ذراعيه التي تضمها بقوة، فوضعت يدها على صدره تريد ان تبعده عنها، لكنها كانت وكأنها تحاول ان تبعد جبلاً! فاحست بحرارة جسده التي تحرق جسدها.

فاحنى رونالد رأسه، وبدأ قلب ليزا يدق بسرعة وعندما لامس فمه فمها بخفة الفراشة، احست وكأن العاصفة تمزقها.

حاولت ان تبتعد عنه، وكانت شفتاه تداعبان عنقها، لكنه رفض ان يتركها، وظلت تحاول التخلص منه فأمسك

شعرها بيده وسحب رأسها الى الوراء فاحست بالذعر الشديد.

«دعني... لم يكن عليّ ان آتي معك الى هنا، لقد ندمت لانني ازعجتك، ولكن...».

«فات الاوان، ليزا بعد خمسة سنوات! لا تخافي، سأسعدك اكثر مما اسعدك عشاقك الآخرون».

فازداد خوفها وذعرها، يريد رونالد ان يمتلكها هنا بالذات!، لا انه يريد ان يعاقبها، فصرخت عندما لامست شفتاه صدرها. وامتزج خوفها بالرغبة التي ترفض الاستسلام لها، وعليها ان تتخلص منه قبل ان يدمرها، واخذ يلامس صدرها فحاولت ان تبتعد عنه مرة ثانية، ولكن كان يمسكها بقوة ويحبس يديها خلف ظهرها، ويتأمل جسدها بوقاحة. فاغمضت ليزا عينيها كي لا تشاهد نظراته الساخرة.

«انت تشتهيني؟» قالت له ليزا وهي تلهث، ارادت بذلك ان تثنيه عن عزمه، «اعتقد ان هذا بدمك! وهل تعرف هيلين سفالتك هذه؟ وهل تعرف انك تحب ان تستعمل العنف مع النساء؟».

«العنف؟ من تعتقدين انك تخدعين؟ لماذا لم تكوني شريفة مع عشاقك الآخرين؟ لان هذا يعجبك اليس كذلك؟ واول من كان سيأتي الى هنا كان سيجدك، فلا تلوميني، اذا اردت ان انال ما قدمتيه بسخاء لغيري، اما استعمال العنف...».

واخذ يلامس صدرها بلطف مما جعلها تعض على

www.elromancia.com

شفتيها كي لا تصدر عنها تنهدات الشهوة، لكن جسدها خانها واخذت ترتعش.

ماذا يحصل لها؟ لانها كانت تحبه منذ سنين طويلة، لانه مارس الحب معها مرة، فهل يجب عليها ان تتخلى عن هذه الشهوة القوية؟.

«هيا ارتدي ملابسك» امرها رونالد ببرود وهو يبعدها عنه، «انت تعتقدين ان الحب على الشاطىء هو قمة الاثارة الجنسية، ولكني تخطيت منذ زمن طويل سن المغامرات هذه».

«انا لا اشك بذلك»، اجابته ليزا بغضب، «اظن ان هيلين تفضل الانوار الخفيفة، والشراشف التي من ستان».

«انتبهي ليزا! سأعتقد انك تغارين منها».

فازداد غضبها وارتدت ملابسها وتبعته حتى المنزل، هل رأت حقاً تلك النظرات اليائسة في عينيه، ام انها كانت تتخيل؟.

«لماذا لا استطيع ان اذهب الى العيد؟» اعترض روبي.

«لان هذا العيد للكبار فقط» شرحت له ليزا.

وبينما كانت تعده للنوم، كانت تفكر بأنها هذا المساء ستبدل الادوار، فهذا العشاء قد نظمه لايت على شرف عودتها، ودعا اليه الدكتور جيمس ومحاميه الخاص.

«هل تحبين والدي؟».

قطع سؤال روبي تفكيرها، انه الآن يفكر بشيء آخر بماذا ستجيبه؟ على عكس تلك الفكرة الشائعة، بان الاطفال يدركون العالم الذي يحيطهم بنظر نافذ.

فهي مثلاً كانت مقتنعة بان روبي لا يتألم لغياب والده، الذي لم يعرفه سابقاً، اما الآن فقد فهمت خطأها، روبي يحب رونالد كثيراً، ويعتبره مثالاً له.

«ماما... هل تحبين والدي؟» الح عليها.

«روبي....».

«انا سأبقى معه» اعترض روبي وكأنه كان ينتظر منها جواباً سلبياً، «ولكني، انا احبه».

«وأنا ايضاً احبه».

كم كان هذا سهلاً! انها تنطق بالحقيقة، انها لا تزال تحب رونالد...

فتح باب الغرفة فجأة، فارتبكت عندما رأت رونالد يدخل الغرفة.

ترى هل سمع ما قالته منذ لحظة؟.

«انت ماذا تريد؟».

«اريد ان اغير ملابسي!» اجابها وهو يفك ازرار قميصه، بينما كان روبي ينظر اليه بانتباه.

فحملته ليزا وقادته نحو غرفته الصغيرة.

«اريد ان يقرأ والدي قصة» اعترض روبي.

«انت في غرفتي... انا اعرف انك تريد ان تقنع الجميع بأننا متفقان، ولكنك تجاوزت الحدود».

«بل نحن في غرفتنا، صحح رونالد كلامها، ولقد اهتم بها لايت من اجلنا، فعندما اتصلت من سانت لويس واخبرت ماما كاز باننا قادمون مع روبي، حضرتها لنا نحن الاثنين».

www.elromancia.com

«لا يهم، فأنا لا اريد ان تشاركني فيها».

«ماما، هل انت غاضبة؟» سألها روبي وهو في سريره.

«لا، ابداً، اليس كذلك يا ليزا؟» اجابه رونالد وقد انضم اليه.

فاغلقت ليزا باب غرفة روبي عليهما، انه لن ينام هنا! وفتحت الخزانة وكما كانت تتوقع وجدت ملابس رونالد فيها، فبدأت ترميها بغضب على السرير، يجب ان ينقل ملابسه من هنا.

وكانت تسمع من خلف الباب صوت رونالد وهو يقرأ لابنه قصة باسلوب لطيف وجميل، فأحست وكأن احداً ضربها ضربة قوية، كم تمنت ان تشعر بوجوده كأب؟ منذ ولادته كانت تنتظر ان تحدث هذه المعجزة.

عندما ولدت روبي، فتحت عينيها فوجدت انها في غرفة مليئة بالازهار، وكانت كل الامهات سعيدات وفخورات بأولادهن، وكانت ليزا ايضاً فخورة بأبنها لكن لم يكن هناك احد بجانبها يشاركها فرحتها..

«الن تبدلي ملابسك؟». وكان قد رأى ثيابه على السرير.

«لا اريد ان اتقاسم هذه الغرفة معك».

«ولماذا؟... فلا حاجة للخوف مني».

«صحيح، بعد الذي حصل على الشاطىء؟».

«لقد تخليت عن هذه الفكرة، ولكن هذا لن يتكرر، لقد تذكرت ماذا كنت؟».

«وماذا أكون انا، لست سوى زوجتك وام ابنك».

«روبي ليس بابني! لماذا تصرين على الكذب؟».

«انا لا اكذب!».

«اتعتقدين حقاً انني استطيع ان انسى شيئاً مماثلاً؟ حينها كنت اعتقدك فتاة صغيرة، وبريئة جداً لا تفهمين مشاعري والرغبة التي تثيريها في قلبي، وكنت ابتعد عنك كي لا اجعلك تنفرين مني، كنت لا تزالين صغيرة، ولكني كنت كلما اراك، احس بأني اذوب وعندما كنت تلمسيني كنت اشعر بالنار تشتعل داخلي... ولم يكن هناك شيء يستطيع ان يوقف عذابي وألمي، وتجرأين الآن على ان تكرري قولك بأنك منحتني نفسك، وانني نسيت كل شيء».

كانت نظراته تحمل التهديد والوعيد، وسكت قليلاً ثم اضاف.

«اتعتقدين ايضاً بأنني لم اكن افضل ان اقتنع بان الجنين هو ابني... وبأني انا الرجل الوحيد الذي امتلكك، والذي اسكتت قبلاته صرخات متعتك عندما تحولت من فتاة الى امرأة؟ ولكننا نعلم ان هذا لم يحصل ابداً، كان مايك بيتر هو عشيقك، وبعد هربك، رحل هو لينضم اليك، لكن يبقى هناك علامة استفهام واحدة، لماذا قبلت الزواج مني؟ كان يجب عليك ان تعلمي بأني سأكتشف الحقيقة، لكنك كنت تتمنين باني لن اتخلى عنك بسبب لايت، وبأني سأستمر في هذه المهزلة كي احميه، الا زلت تجهلين ماذا فعل به رحيلك؟».

وتابع كلامه القاسي، بدون رحمة وبدون اي اثر

للتسامح والغفران.

«عندما عدت خائباً بعد ان قضيت اربع وعشرين ساعة ابحث عنك في الجزيرة، اصيب والدي بأزمة قلبية، وهذا ما لن اسامحك عليه! لقد جرحت رجلاً كان يعتبرك كابنته، والآن وبعد ان اصبحت اماً بدورك، هل تتصورين مدى ألمه؟ وكيف تجرئين الآن على الاعتقاد باني لا زلت ارغب بك؟» وضحك ساخراً ثم اضاف.

«لقد جئت الى هنا، لسبب واحد لكنه ليس الرغبة بممارسة الحب معك» لن تترك ليزا اليأس يدمرها، لقد ملت التوسل الى هذا الرجل المتعجرف والطلب اليه ان يثق بها.

«اني اطلب منك ان تأخذ هذه الملابس والا سأطلب من ماما كاز ان تفعل ذلك!» وتناولت ثوبها واتجهت نحو الحمام وضفقت الباب وراءها، وعندما اصبحت وحيدة تبددت تلك القوة التي تتسلح بها امام رونالد، فان رونالد مقتنع في قرارة نفسه بأنها تكذب.. ولكن هل كان يحبها حقاً؟ ام انه وهذا ما كانت تخشاه، انه تزوجها فقط لانه كان يرغب بها بدون حب؟.

ووقفت تحت الدوش وامتزجت دموعها بنقط الماء المتساقطة على جسدها، الن تنتهي محنتها هذه؟ ورونالد على عكس ما يقوله هو يرغب بها كثيراً لكنها رغبة تغذيها فكرة الانتقام، فالى متى سيجبرها على البقاء في سان مارتان؟ اذا كان يقول الحقيقة، فهي لن تجرؤ على قول الحقيقة للايت كي لا تسبب له ازمة اخرى.

«هيا اسرعي اريد انا ايضاً ان استحم».

ففتحت الباب غاضبة.

«اعتقد انني قلت لك بانني لا اريد ان اتقاسم هذه الغرفة معك». وكانت ملابسه ما تزال على السرير.

«نعم، هذا ما قلتيه، لكن لدينا ضيوف واريد ان اغير ملابسي، وسنفكر في هذا فيما بعد».

كان صدره عارياً، وعضلاته المفتولة بارزة تحت جلده الاسمر، فتأملته ليزا بدهشة ولم تستطع ان تتمالك نفسها.

«انك جميلة... لقد تغيرت واصبحت امرأة جميلة، ستخلقين هيجاناً في الاسفل!».

«هذا مضحك وسخيف».

«ان اللون الاسود يناسبك كثيراً».

فارتبكت فجأة عندما احست بأن سحاب فستانها لا يزال مفتوحاً.

«رونالد...».

«ان خيطاً عالقاً في اسفل السحاب».

في هذه اللحظة سمعت طرقاً على باب الغرفة.

«ليزا! رونالد أأستطيع الدخول؟».

انه لايت فبلعت ليزا ريقها، ونظرت بقلق الى الملابس المبعثرة على السرير.

«اني امنعك...» هددها رونالد.

ووضع يداً خلف كتفها العاري، واليد الاخرى تحت ثوبها، وجذبها نحوه.

«ادخل الباب مفتوح» اجاب رونالد وانتظر اللحظة التي

دخل بها لايت وسحب يده ببطء من تحت ثوبها.

فاحمر وجه ليزا، فلقد نجح رونالد في تمثيل دوره.

«نحن تقريباً اصبحنا جاهزين... ولكني عندما رأيت ليزا بهذا الثوب الجميل تذكرت كم كنت ارغب بها منذ زمن طويل دون ان اتمكن من اشباع هذه الرغبة».

«انك تجعل ليزا تشعر بالخجل» اعترض لايت على رونالد مداعباً، لكن ابتسامته غابت عندما وجد الملابس مرمية على السرير.

«انها مثال للانوثة الكاملة» قال رونالد وقد انتبه الى نظرة ابيه، بينما بدأت ليزا ترتب الثياب في الخزانة.

«كيف حال روبي! هل هو مرتاح؟».

«وكأنه يعيش هنا منذ مدة طويلة» اجاب رونالد.

«ليزا، انا سعيد جداً بعودتك».

«وانا ايضاً سعيدة جداً لانك قبلت بي بهذا الترحيب البالغ».

«ابنتي العزيزة، كيف يمكنك ان تعتقدي العكس؟».

«انا...».

وبلعت ريقها، لو ان رونالد يخرج قليلاً، لتمكنت من الكلام مع لايت بحرية اكبر.

«لقد انتهى كل شيء، بالنسبة لي، لا اريد ان اسمع شيئاً من الماضي». قال رونالد.

«سأنزل مع لايت، وهكذا ستتمكن من ارتداء ملابسك بهدوء»، قالت ليزا بحزم.

«الم تنسى شيئاً يا عزيزتي؟».

لمس رونالد ظهرها بأصابعه وضمها اليه.

«حسناً... اعتقد انني يجب ان اترككما معاً». وابتسم لايت وهو يتجه نحو الباب.

بعد ان اغلق لايت الباب وراءه. تغيرت لهجة رونالد واخذ يهددها.

«كلمة واحدة، اية كلمه منك تجعله يشك بشيء! ستجعلك تندمين على اليوم الذي ولدت فيه!».

«لا تخف، انا احب لايت كثيراً ولا اريد ان اجرحه».

«حقاً؟ انت تحبينه لدرجة انك رحلت دون ان تشرحي له شيئاً».

«لقد كتبت له رساله».

تجاهل رونالد جوابها.

«ان مظهرك خادع! ولو انني لم اكتشف الحقيقة، هل كنت ستمارسين الحب معي؟».

«ولماذا هذا السؤال، فلقد تزوجتك انت».

«وبيتر؟ الم يقل كلمته».

«مايك كان يعلم بكل شيء».

«فكيف قبل ان تهجريه وتتزوجي مني؟ كان يجب عليه ان يتزوجك هو، اذا كان يحبك حقاً!».

«رونالد، انت سافل وحقير! انت تقيس كل شيء على هواك وانت غير قادر على معرفة الحقيقة. لقد كنت انت حبيبي الوحيد، وروبي هو ابنك انت!».

«امنحك عشرين على عشرين على عنادك»، تمتم رونالد وهو يمر امامها.

www.elromancia.com

«ماذا تتمنين اذاً؟ ان استسلم؟ لم يكن من السهل عليك ان تقومي على تربيته دون مساعدة من عشاقك. من الممكن انك بدأت حينها تفهمين ان الزواج يقدم بعض التأمينات وانه لم يكن عليك ان تهربي؟».

«انت لم تدع لي الخيار، والآن دعني انهي ارتداء ملابسي»، اجابت ليزا.

فنظر اليها رونالد وقال:

«هذا الثوب جميل جداً، واكني عندما اتذكر جسدك المثير الذي يختبىء تحته اشعر بالانزعاج!»، ودخل الى الحمام واغلق الباب وراءه.

فأقفلت ليزا سحاب ثوبها واخذت تزين وجهها بيد مرتجفة. وقبل ان تنتعل حذاءها نظرت الى روبي، انه ينام بهدوء.

ثم نزلت الى الصالون وكانت لا تزال ترتجف من الغضب. فوجدت لايت يجلس وحده.

«آه، ليزا انت جميلة جداً. اين رونالد؟».

«انه يلبس ثيابه».

«وانت لم تنتظريه كي لا تؤخريه اكثر، اليس كذلك؟» قال لها الرجل العجوز مداعباً.

«آه، يا عزيزتي، لو تدرين كم انا سعيد باتفاقكما معاً، وروبي! كنت اعتقد بانني لن اعيش حتى ارى احد احفادي! لماذا لم تكتبين الي؟ كان عليك ان تخبرينا على الاقل انك في حالة جيدة. كاد رونالد ان يصاب بالجنون! ولقد بحث عنك في كل الجزيرة، قبل ان يعلم بانك

رحلت الى انكلترا. ولقد ذهب وبحث عنك هناك لكنه لم يجدك».

بالتأكيد لقد كانت قد استأجرت غرفة مفروشة تحت اسم مستعار، في ذلك الوقت لم تكن تريد ان يكتشف رونالد اي اثر لها.

«انت لم تلمسي المال الذي كان يرسله لك»، اجاب «رونالد، لماذا لم تخبرينا عن ولادة روبي؟».

«لقد كتبت لك رساله، وقد تكون ضاعت هذه الرسالة. وكانت تشرح لك كل شيء... كل ما حصل...».

واخذ صوتها يرتجف، وحاولت جهدها ان تمنع دموعها، لكن لايت اسرع وضمها اليه. كم تأخرت صحته. انها تعتبر نفسها مسؤولة عن مرضه هذا.

«رسالتك لم تصلنا ابداً» اجابها.

«ولقد عتبت عليك كثيراً. وكنت احبكما انتما الاثنين معاً! وكنت انانياً واريد ان احتفظ بك الى جانبي. كان يكفي ان انظر اليك حتى اعلم بانك ورغم عمرك، تمثلين بالنسبة لرونالد شيئاً اكبر من الاعجاب! وهكذا كنت احاول ان ادفعكما الواحد الى احضان الآخر».

ثم تنهد واضاف:

«لم يكن علي ان افعل ذلك. ولقد قال لي رونالد اكثر من مرة بأنك طفلة، وهو رجل كامل، هذا لا مفر منه... كان ينتظر منذ زمن بعيد. وكانت غلطتي، لو ان كل شيء لم يعش تحت سقفي...».

«انه سعيد بهذه الصلة، ونحن سنبقى معاً، وانا لست

www.elromancia.com

واهمة، لايت. رونالد يرغب بي».

«كثيراً، بدون شك. بعد ان ضغط كثيراً على نفسه، ارعبك فهربت منه...» قاطعها بحزن.

«هذا ما قاله هو لك؟».

«لم يقل ذلك بالعبارة الصريحة، ولكنه عندما عاد وحده. اعتقدت ان الامور بينكما سارت على هذا الشكل. وهو لم يصحح اعتقادي هذا. كم كانت صدمتك قوية، عندما علمت انك حامل! الم ترغبي بالعودة؟».

«أوه، بلى! ولكن... كان ذلك مستحيلاً!».

«انت كنت دائماً صاحبة كبرياء! لكنك الآن هنا، وتحققت كل امالي».

«هل هذا يعني انك ستقبل اجراء العملية الجراحية؟» جاء سؤال رونالد من خلف الباب هادئاً. فالتفت الاثنان نحوه بذهول.

«رونالد، انا رجل عجوز متعب. فماذا ستفيدني بضعة سنوات أخرى؟».

«سأقول لك، بعد خمس سنوات سيصبح روبي صبياً كبيراً. وبعد عشرة اعوام سيصبح مراهقاً. ثم، سيكون لنا اولاد آخرون!».

وتقدم خطوة وامسك يدي ليزا تسم وقال لها هازئاً:

«سأنجح ودون ان ابذل جهداً، سأكون قوياً وقادراً. اليس لدينا في العائلة من انجب التوائم؟».

فعضت ليزا على شفتها، كان رونالد يرتدي جاكيت سهرة، وللحظة ظنت ليزا انها ستداعب شعره المسرح.

وانها ستلامس ثنيات قميصه الجميل واعترفت بقرارة نفسها بأنها تتلقى موجات مغناطيسيه، لكنها خاليه من خوف المراهقه.

«لست ادري»، اجابه لايت.

«اذن سنسأل الدكتور جيمس».

كان العشاء فاخراً. وكانت ليزا تعرف دايفيد نايل الذي هو عم هيلين وعرفها لايت على الطبيب جيمس.

«رونالد لا يزال يلح على اجراء العملية الجراحية»، قال الدكتور جيمس. فالتفتت ليزا نحوه بانتباه.

«انت تعرف وجهة نظري، ان الحياة غاليه ويجب ان نتعلق بها، ولديك امل خمسين بالمئة. خاصة اذا تحسنت قواك اكثر واكثر» ثم تابع موجهاً كلامه الى ليزا.

«ان وجودك هنا له اثر اكثر فعاليه من اثر تعليماتي انا».

«وأنت يا ليزا ماذا تقولين؟» سألها لايت.

«أنا اريد مصلحتك واريدك ان تبقى بيننا».

«اعتقد ان الجميع متفقون ضدي!».

احست ليزا بانه غير مسرور كلياً. وشكت بانه قد اتخذ قراره سابقاً بانه طلب من الدكتور جيمس ان يوحي الى رونالد بأن حالته الصحية متدهورة كي يدفعه الى البحث عن ليزا والعودة معها. ليس لأنه يحبها فقط بل لأنه كان يقدس الرباط الزوجي وبانه قبل ان يكون روبي هو حفيده دون اي اعتراض.

احست لأول مرة بأنه اذا نجحت عملية لايت، فأنها ورونالد سيعيشان معاً حياة تعيسه. لكن رونالد كوالده تماماً

لا يقبل ان يفرض احد عليه شيء. وقد يكون قد سبق له واوجد حلاً لهذه المشكلة.

واشار لايت لأحد الخدم ان يفتح احد الأبواب، وظهر خلف الباب بعض الخدم المجتمعين حول ماما كاز.

«رونالد، هذا على شرفك». واشار الى زجاجات كبيرة من الشمبانيا موضوعه على طاولة متحركه.

«لقد اشتريتها يوم ولادتك واحتفظت ببعضها للاحتفال بولادة اول ولد لك. وللأسف لم نكن موجودين يوم ولادته».

ثم تنهد ونظر نحو ليزا واضاف:

والآن فلنشرب نخب روبي حفيدي، ونخب والديه رونالد وليزا. ولنتمنى لهما السعادة معاً».

فرفع الجميع كؤوسهم، ولكن ليزا كانت مرتبكه.

«وليس هذا كل شيء...».

ولاحظت ليزا نظرات الجميع نحو لايت ودهشتهم. وكان رونالد يشاركها قلقها.

«كما تعلمون جميعاً، كان رونالد حتى الآن هو وريثي الوحيد، ولكن الاحداث الحاليه ذكرتني بان الحياة غالية. فجمعتكم هنا هذا المساء لأخبركم بأنني غيرت وصيتي وستبقى ادارة الفنادق كلها مسؤولية رونالد. لكنه سيشارك امتلاكها مع ابنه، وستعمل ام روبي باسمه الى ان يبلغ سن الرشد».

فصفق الجميع، لكن ليزا لم تسمع تصفيقهم، ماذا فعل؟ هل يريد أن يجبرهما على البقاء حقاً؟ ام أنه يريد ان

يؤمن مستقبل روبي لأنه يلاحظ شكوك رونالد تجاهه؟ مهما كان الامر فان رونالد لم يكن يتوقع هذا! فنظرت نحوه وفهمت أنه كان يجهل قرار ابيه هذا، ولكن هل يعتقد أنها هي التي اقنعت لايت بذلك؟.

«رونالد، أنا لن ادعه يفعل ذلك. أنا...».

«لا تنطقي بأية كلمه! انه يفعل ذلك لمصلحتك، فلا تفسدي فرحته. انظري اليه، انه مريض. أنه يعرفك جيداً، ويخاف ان تهربي مرة ثانيه، وبعمله هذا يعتقد أنه يزيد ارتباطك بهذا المكان. وأنت تحبين روبي، ولن ترفضي ورثه هذا».

«وأنت الن تعترض؟».

«ولماذا؟ ان الميراث كبير ويكفينا معاً».

«بالمناسبة، اصطحبي يا ليزا روبي الى عيادتي يوماً، هل تم تلقيحه بكل اللقاحات؟» سألها الطبيب.

«بعضها فقط، لأننا كنا على عجلة من امرنا».

«حسناً، أنا بانتظار زيارتكم لي. والآن الى اللقاء».

وكانت ليزا قد نسيت بطاقة التلقيح في لندن.

«أنت ساهيه، هل تقلقك مسؤولياتك الجديدة؟»، سألها رونالد وهو يضع يده خلف ظهرها وينظر اليها بمودة.

«لا، لكني نسيت بطاقة التلقيح».

«وتشعرين بالذنب تجاهه، بينما أنت تحضنينه كما تحتضن الدجاجة صغارها».

«لأنه كل ما املك».

«وهذه غلطة من؟ هل جربت ان تضعي والده امام

مسؤولياته؟ كان يجب ان يكون بيتر فخوراً بولده!».

ماذا ستستفيد من محاولة اقناعه مرة ثانية بأنه والد روبي الحقيقي؟ سوى أنه سيضرب رأسه بالجدران!.

وكان لايت يتحدث مع دايفيد مايل.

«آه، عزيزتي ليزا، أنا سأذهب، ونحن سعيدون بعودتك وأنا سعيد لأنك ورونالد توصلتما الى حل مشكلكما» قال المحامي.

«كنت احدثه عن روبي»، قال لايت:

«انه يشبه رونالد كثيراً لكنه على عكس ابيه باعتماده انه يعتمد على ام محبه ومخلصه. لقد كانت اليز والدة رونالد لا تحب انجاب اولاد آخرين، ولم تكن تهتم بابنها». تنهد واضاف.

«لم يكن علي ان اتزوج منها! اما انت ورونالد فقد خلقتما الواحد من اجل الآخر. ولم يبق لدي الا رغبة واحدة...».

«ما هي؟» سأله رونالد.

«طفلة صغيرة تشبه امها كثيراً، كما يشبه روبي والده كثيراً».

فضحكت ليزا، وودعا الضيوف، ثم اختفى رونالد، وظنت ليزا أنه يستريح في احدى الغرف. وسيعتقد الخدم أنه لا ينام في سريره! وعليه هو ان يفسر لهم ذلك!.

«تعالي يا ليزا، فأنا لم اراك اليوم جيداً.

«لقد جعلني رونالد اقسم بالا ازعجك» أجابته ليزا.

«هل انت سعيدة بعودتك؟ يبدو عليك بعض الحزن».

«هذا بسبب تلك السنين الضائعة».

«انسي الماضي، فنحن لم نكن نعلم بولادة روبي، ليزا! لماذا لم تكتبي لنا؟».

«لقد فعلت، وعندما لم تجبني، اعتقدت ان...».

«اعتقدت بأننا ادرنا لك ظهرنا؟ اوه ليزا، رونالد رجل عنده كبرياء وانت جرحته بعمق، ولكن كيف تخيلت بأنه لن يستقبلك برحابة، خاصة وانك...».

«وانني قد انجبت ولده؟».

كيف ستقول له بأنه هو الذي رماهما، هذا مستحيل!.

صعدت ليزا الى غرفتها وادركت ان لايت يريدها ان تعيش مع رونالد كزوجته وولده بسعادة وقد يتحقق ذلك ذات يوم... وتفاجأت عندما فتحت باب غرفتها ووجدت رونالد متكئاً على الحائط بوقاحة.

«رونالد! لقد قلت لك بأنك لن تقاسمني هذه الغرفة».

«وانا سمعت ذلك»، واخرج من جيبه مفتاحاً واقفل الباب خلفها.

«بالنسبة لي، لقد قلت لك بأن والدي لا يجب ان يشعر بالقلق، ونحن رسمياً متفقان، وهو ليس مجنوناً ولن يكون سعيداً اذا تركتك تنامين وحدك».

«لن امضي هذه الليلة معك»! صرخت ليزا.

ولم يكن هناك آثار للملابس على السرير، ترى اين وضعها رونالد؟ بنفس الخزانة؟.

«هيا، فكري بما ستكسبينه بالمقابل، انك تؤكدين امنك وسلامك وامن روبي ومستقبله. هذا اكثر بكثير مما حصلت

عليه من والده الحقيقي».

اسرعت ليزا وصفعته على خده.

«ايتها العاهرة اللعينة!» صرخ رونالد وهو يلمس خده الذي اصبح احمراً.

«ماذا يجري الا تحبين الحديث عن بيتر؟ مع ان وجود ابنك يذكرك دائماً به».

«روبي هو ابنك انت!» صرخت ليزا. «وهل انت اعمى كي لا ترى الشبه الذي بينكما والذي يراه الجميع».

«الا انني اختلف عنهم بأني اعرف الحقيقة، ولا تكرري بأني مارست الحب معك على متن المركب لايدي».

«ولما لا، ان هذا ما حصل بالفعل!».

«لا، لقد كنت قد اقسمت بان لا المسك قبل الزواج. انا...».

«نعم، لقد مارسنا الحب معاً، لكنك تعرضت لارتجاج دماغي».

«لا، لا»، اخذ رونالد يتنفس بصعوبة، وعيونه تقدح شرراً.

«هذا ما يشير الى الصراع الداخلي الذي يرهقك».

ان تلك الليلة فقط شعرت ليزا بحبه الكبير لها. لكنه نجح في احتوائه.

ولكن الحادث انساه قسمه، واطلق كل رغباته التي كانت حبيسة. وامتلكها بشوق وحب كبير لا تزال تذكرهما جيداً. ولكن لماذا يرفض عقله ان يتذكر هذه الليلة؟ لماذا لا يعرف بأنه ضعف وارتكب غلطة كان قد اقسم على

تجنبها؟.

«اعترفي، ليزا، اعترفي بأني لم المسك تلك الليلة».

«لماذا؟».

«لأنك كل مرة تقولي هذا، احسُّ وكأنك توجهين ضربة قوية الى قلبي، فأنا لا استطيع ان اصدق بأني مارست الحب معك ثم نسيت ذلك، انا لا استطيع...».

«انها مشكلتك يا رونالد!».

هل بدأ يشك بصحة كلامه؟ هذا عظيم.

«واذا كنت واثقاً من نفسك، فلماذا تركت لايت يعتقد بأنك والد روبي؟» سألته ليزا.

«ليزا».

«ماذا تعنين؟» ثم اقترب منها وغرز اصابعه في كتفيها، ثم اضاف.

«روبي ليس ابني انا! ولكني سأصاب بالجنون اذا لم استفد من هذا الوضع، واحاول ان يكون ولدك الثاني هو طفلي انا».

«لا»، صرخت ليزا وحاولت ان تتخلص منه لكنه لم يتركها.

«لا، رونالد، لقد اقسمت انك لن تلمسني».

«حقاً؟ ولكنك انت ترغبين بي».

كانت يداه تنزلقان على كتفيها وشفتاه تقبلان عنقها. فأخذ قلبها يدق بسرعة، وفتح رونالد ثوبها، فصرت على اسنانها كي لا يسمع رونالد تنهداتها. لكن لمسات رونالد كانت تثير كل احاسيسها فتمنت ان تشعر بجسده العاري

بقرب جسدها.

«كم انت جميلة»، همس رونالد، «مع انك لم تعودي تلك الفتاة الصغيرة الا انك الآن ساحرة جداً، وهذا ما يجعل عشاقك يصابون بالجنون».

«لماذا لا تزالين مترددة؟ فأنت ترغبين بأن الامسك و...».

«لا»، اعترضت ليزا.

كانت يداه تضغطان عليها بقوة، فتمنت لو انها تستسلم.

«انت كاذبة وقصاصك سيكون باثارة رغباتك كما كنت تفعلين بي، هل اثارك احد آخر هكذا من قبل؟».

لم تجبه ليزا. فهي لم ترغب باحد غيره من قبل. وبعد ولادة روبي لم ترد على حاجاتها الجسدية، واعطت كل حياتها واهتمامها لابنها. وهي تعلم الآن ان رونالد يريد ان يعاقبها. وبعد ان سقط ثوبها على الأرض.

«كم تغيرت ليزا! انا ارى بأن دروس عشاقك بدأت تعطي ثمارها، وسيأتي يوم واعلمك فيه اسرار الحب».

غضبت ليزا، وحاولت ان تعترض، لكنها تأكدت بأنه لن يغير رأيه فيها.

كانت قد بدأت تضعف امام لمساته على جسدها. ثم حملها بين يديه ووضعها على السرير، واخذ يقبلها بحرارة، لكنها ابقت فمها مطبقاً، فعض شفتيها بعنف فلم تعد قادرة على مقاومته فاستسلمت لقبلاته وبعد قليل حاول ان يبتعد عنها. لكنها تعلقت به ومنعته، فتمدد بقربها، وبينما هو ينزع آخر قطعة من ملابسها اغمضت عينيها

وكادت ان تغيب عن الوعي.

تجاوبت معه اكثر، وفهمت انه قد وصل الى هدفه اخيراً واثار كل رغباتها فليفكر الآن بما يريد فخبأت وجهها بصدره كي تتحسس به وتشم رائحته وكان قد خلع قميصه، لم تعد تسمع سوى دقات قلبه المتسارعة، حاولت ان تصم اذنيها عن الصوت الداخلي الذي ينذرها بالندم القريب.

العالم كله توقف الآن امام احاسيسها المشتعلة التي تتركز كلها الآن حول رونالد.

«كنت كل ليلة ومنذ سنوات احلم بهذه اللحظة» همس رونالد بأذنها.

«هل تتألمين؟ نعم تتألمين، انت ترغبين بي» بدأت ليزا ترتجف.

«لكني لن افرض عليك هذا الألم، انا انتظر ان تطلبه انت».

«رونالد...» وجاء صوتها ضعيفاً ومختلفاً. فضاعت وراء مشاعر الحب والرغبة واحست بأنها ستموت اذا لم يسرع لنجدتها.

«رونالد، انا ارغب بك، وبحاجة اليك» قالت له يائسة والدموع تنهمر من عينيها، وأدارت وجهها.

لماذا لم تستطع مقاومته لأنها تحبه حباً قوياً. ولكن رغبته في الانتقام منها سترتوي، ولن يعود راغباً بها.

«لا تبكي، ليزا، ارجوك لا تبكي...» وقبلها فأحست ليزا بأنها تعيش هذه الليلة وكأنها ليلة عرسها التي لم تتم سابقاً، لقد رحل الشيطان عن رونالد، وبدا محباً متسامحاً.

www.elromancia.com

«انت جميلة جداً واكثر انوثة مما في ذاكرتي».

ابتعد عنها فجأة، اعتقدت انه سيذهب ويتركها.. ولكنها احست بشفتيه على جسدها فأحست بأمواج الرغبة تغرقها. فانتظرت ان يضع حداً لهذه الإثارة، لكنه تابع بتقبيلها وملامسة جسدها الى ان ازداد عذابها وشوقها اكثر... فبدأت تتعذب ونسيت كل شيء ما عدا رونالد.

«ليزا... ليزا».

ظل رونالد يلفظ اسمها بعد ان نام من شدة التعب.. وعندما سمعته ليزا ارادت ان تجيبه وتطمئنه. انه الآن مستعد لتصديقها. فهي الآن زوجته وتنتمي اليه.

من اين يأتي هذا الضجيج؟ كان احدهم يدق على الباب... ففتحت ليزا عينيها روبي! لقد حصل له شيء، لكن روبي كان واقفاً امامها ينظر اليها بدهشة.

«اذهبي انت وروبي واهتمي بفطوره، ولا تعودا قبل ساعة على الأقل!».

«كيف تجرؤ على هذا الكلام».

«هل هذه طريقة ملتوية كي تقولي لي بأنك تريدين ممارسة الحب من جديد؟ اشرحي لي بوضوح! فأنا لا اعلم اين ومتى تعلمت فن اسعاد الرجال... جزء مني يكرهك لهذا السبب، ولكني لا اقدر ان انفي بأني ارغب بك، حتى ولو كان هناك آخرون امتلكوك من قبل».

«اشكرك فأنا سيكون لي الشرف وانجب حفيدة للايت».

«الا تريدين المساعدة في ذلك؟» كان رونالد يسخر منها، «فان الألم قد زال، ولن تشتكي، كما فعلت ليلة

امس».

هل يريد ان يجبرها على الاعتراف بأنها لا تزال ترغب به؟ لكن قلبها يكاد ينفجر من هذه الرغبة القوية.

«انك عشيق رائع»، قالت له ليزا.

«بالطبع، هل اعرف كيف ارضيك؟ هل هذا ما تريدين قوله؟ ان كل شيء سيكون لذيذاً عندما نكون جائعين».

«اذهب الى الجحيم» كان هذا جوابها الوحيد.

«انه شيء اكيد، وسأصحبك معي اليه». قال هذه الكلمات وابتعد عنها.

«لا، ليزا، هذه المرة نحن لا نلعب، هذه الليلة ستعطي ثمارها، ولكن اعلمي بأنها ستكون الأخيرة والأساسية» اتجه نحو الحمام، ثم اضاف.

«بالمناسبة سنبقى نتشارك هذه الغرفة معاً، هل فهمت».

ظلت ليزا تبكي وهي تتذكر طعم قبلاته في الليلة الماضية، وقررت بانه يجب عليها ان تنسى هذه الليلة نهائياً والا فأنها ستصاب بالجنون.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

بعد ان تناول رونالد افطاره، سافر بالطائرة الى سانت لويس ووعد ليزا بأنه سيعود بعد الظهر، فاصطحبت روبي الى عيادة الطبيب جيمس كما وعدته كي يلقحه، وعندما وصلت الى المستشفى تذكرت مايك بيتر... ورونالد.

وبينما كان الطبيب يهدىء الصغير، اخذت تداعب شعره ولكنه لم يكن خائفاً، انه كوالده يرفض يد المساعدة، ولم يكن روبي قد سامحها على ابعاده من غرفتها هذا الصباح فتنهدت، ان حياتها ملبدة بالمشاكل المستعصية الحل.

«والآن نقطة صغيرة من دمك»، قال له الطبيب. والتف نحو ليزا ثم سألها.

«هل تعرفين فئة دمه؟ فان فئة دم والده نادرة جداً».

«وروبي ورث هذا عنه»، اجابته ليزا بعد ولادته عرفت ان دمه من هذه الفئة النادرة. وتساءلت ماذا سيفعل رونالد

عندما سيعرف ذلك. ولكن معرفته لهذه الحقيقة لم تعد تهمها، لأنه جرح كرامتها، ولا يزال مستعداً للتلاعب بمشاعرها.

وكانت حبة شوكولا منها اعادت البسمة الى ثغر طفلها، وعاد الى المنزل.

جاء رونالد ليراها في ساعة القيلولة، فجف حلقها فجأة، وارادت ان تنقذ نفسها، الجبان ما الذي يخيفها؟ ان يعلن انتصاره عليها؟.

«ليزا».

عندما رأته يقترب منها بلونه الأسمر، احست بأن عضلاته تنقبض لماذا لم تكن اقوى مما هي عليه الآن؟.

«اريد ان احدثك».

«ليس الآن، لقد وعدت والدك بأن اصعد اليه».

فلم يلح رونالد، وكان يبدو عليه الأعياء، ترى ماذا يريد ان يقول لها؟.

«بعد العشاء؟» سألها.

«حسناً سنلتقي في غرفتنا».

«لا افضل ان نجلس في المكتبة، سنشعر فيها بالهدوء».

بالهدوء؟ تساءلت ليزا، لماذا هذا الكره المفاجىء لغرفتهما؟ ولكن المساء ليس ببعيد، وستحصل على جواب لهذا السؤال.

عندما انتهت من زيارتها للايت دخلت غرفة روبي كي تراه قبل النوم، ولكنها لم تجده فسألت عنه ماما كاز.

«انه على الشاطىء مع والده، لقد جاءت السيدة هيلين وطلبت من السيد رونالد ان يرافقها الى البحر كي تسبح، ان هذه السيدة لا تتحمل فكرة ان يقول لها احد كلمة لا».

«هكذا اذاً اصطحب رونالد هيلين وروبي الى الشاطىء» ولكن هل ستجدهم عند الخليج الصغير... فروبي يحب الماء وهي واثقة من ان رونالد سيهتم به.

وصلت الى الشاطىء بسرعة، فوجدت بنطلون رونالد الجينز مرمياً على الرمال بجانب ثياب وصندال روبي، واخذت تنظر الى الأفق، كان البحر هادئاً والأمواج تتكسر ببطء على الشاطىء الرملي، بينما كانت الأمواج تتكسر بعنف على الصخور هناك. الى اين ذهبوا؟ وتذكرت بأن رونالد رافقها مرة الى الخليج ليعلمها الغطس عندما كانت اكبر من روبي بسنتين فقط، ومنذ ذلك الحين يمثل لها قاع البحر روعة حقيقية.

وفجأة ارتعبت ليزا، انها تلاحظ حركات فوق المياه المرجانية، هل يمكن لرونالد ان يبتعد الى هذا الحد، فروبي لا يزال صغيراً، لا يمكنه ان يجازف به، واحست بالخوف. ان كل الأمهات تخاف على اولادها هكذا؟

وفجأة خرجت هيلين من الماء ووقفت على الصخور المسننة التي تسبب جروحاً يصعب الشفاء منها بسرعة، ان هيلين بدون شك تحاول الاختباء في خطر جسيم، فصرخت ليزا وهي تشاهد روبي الذي تسلق بدوره على الصخور. وكانت ليزا تعلم بأنه لن يسمع صوتها.

ولكن اين رونالد لماذا لا ينتبه له؟ وفجأة وامام نظرها

وقع روبي في الماء. وحاولت هيلين ان تمسكه لكنه وقع.

وكالمجنونة نزلت ليزا الى البحر: اين رونالد؟ وفجأة رأت المياه تتلون بلون الدماء. وبدون تفكير اخذت تسرع نحو المكان الذي اختفى فيه روبي. وظهر رونالد فجأة يسبح على ظهره باتجاه الشاطىء ويحمل روبي والدماء تسيل خلفه.

وضع رونالد الصغير على الرمال وامسك قميصه.

«لقد انزلق على المرجان، اعتقد انه اصيب»، قال لها اخيراً وكان يتكلم وهو يربط خشبة طويلة.

ظل روبي بدون حراك، فخرجت هيلين من الماء بدورها.

«لماذا كل هذه القصة؟ لقد قلت لك مراراً ان لا تصطحب معك هذا الطفل».

«هيلين دعينا الآن»، قال رونالد دون ان يلتفت اليها، ثم نظر الى ليزا وقال لها.

«اركضي الى المنزل واخبري الدكتور جيمس بأننا سنصل، قد يحتاج روبي على عملية نقل دم.

بنفس اللحظة فتح الصبي عينيه، واخذ يئن والتفت نحو هيلين وقال.

«انت التي دفعتني انت».

لم تنتظر ليزا جواب هيلين فلم يهمها الآن سوى حياة طفلها، وعندما وصلت الى البيت اتصلت بالطبيب ونزلت تحمل غطاءً لروبي، وبسرعة ركبوا الرانج روفر ومدد رونالد الصغير في الخلف فنظرت ليزا بألم، انه ابنه، ابنه الذي

حملت به تلك الليلة.

هل كل الأهل يخافو هكذا على اولادهم؟ نعم، ان جروح روبي خطيرة وقد فقد الكثير من دمه، وطيلة الطريق لم تنطق بكلمة لا هي ولا رونالد، كانت الممرضات ينتظرونهم امام باب المستشفى واخذوا روبي على حمالة فنظرت اليه ليزا وقلبها يتمزق من الألم.

«تشعجي يا ليزا، تعالي لنجلس في غرفة الانتظار، وسأحضر بعض القهوة».

«افضل ان اكون وحيدة، اذهب انت وابحث عن هيلين فمن المؤسف ان تفسد فترة ما بعد الظهر هذه».

غضب رونالد واجبرها على النظر اليه.

«اسمعي، قد تعتبرينني شريراً، ولكنني سأبقى هنا».

«لماذا اخذته معك؟».

«ليزا انا...».

عندئذ وصل الطبيب، ولم تعد ليزا تسمع كلامه.

«انه بخير، وسيتحسن اكثر بعد نقل الدم.. ولحسن الحظ انك هنا يا رونالد».

فشحب لون ليزا، لو انه ليس موجوداً هنا لما حصل الحادث من اساسه.

«هيا يا رونالد، الحق بالممرضة وهي ستفعل اللازم و...».

«انا لا افهم، هل تعني ان...».

«ان الطبيب جيمس يعلم انك انت وروبي من فئة دم واحدة»، قالت له ليزا، ولم تكن تخشى عليه من ردة

الفعل.

ماذا سيظن الطبيب اذا بدأ بنفي ابوته؟ رغم هذا الدليل القاطع.

«نعم»، قال الطبيب. «لقد اخبرت ليزا بذلك هذا الصباح. فليس من النادر ان تكون فئة دم الطفل كفئة دم ابيه، ولكن فئة دمك نادرة جداً وليس لدينا دم منها. لقد اسس الدكتور مايك بيتر بنكاً للدم وشجع كل اهالي الجزيرة على التبرع... وبدأ بنفسه اولاً. لقد روى لي بأن حركته هذه كانت رمزية، لأن فئة دمه كثيرة بين الناس. لكن كان لتصرفه اثر فعال ولقد تذكرت انك كنت بحاجة للدم منذ عامين بعد الحادث الذي وقع لك في المرفأ، ومن حينها لم نطلب منك ان تتبرع بدمك».

كان وقع هذا الكلام قاسياً على رونالد، ولو ان الظروف مختلفة، لكانت ليزا اشفقت عليه. فالتفت اليها، لكنها لم تكن تفكر سوى بروبي الجريح الذي بحاجة الى دم ولا يستطيع احد ان يمنحه هذا الدم سوى والده.

«رونالد» اشار له الطبيب ان يتبع الممرضة، ولكن ليزا لم تستطع ان تنظر اليه.

«لا تخافي يا ليزا، اني اعدك بأن كل شيء يسير على ما يرام، ولكن... ما الذي حصل؟».

كان بامكانها ان تتهم هيلين الآن، ولكنها اجابته بأن روبي انزلق على الصخور.

«هذا ما كنت افكر به لقد اخبرني الصغير بأن رونالد لم يكن يريد ان يأخذه معه لكن الصغير هو الذي الح، ان

حظه جيد».

«دكتور، قل لي... متى استطيع ان اراه؟».

ثم تبعت الطبيب، كان روبي ممدداً في احدى الغرف، ورونالد ممدد على السرير المجاور له، ينظر اليه ويده ممدودة على الشرشف الأبيض.

بعد قليل بدأ اللون الأحمر يعود الى وجه الصغير، مع ذلك لم تلتفت ليزا الى رونالد، وظل اهتمامها منصباً على ابنها.

«سوف يستيقظ بعد قليل لقد اعطيناه مسكن»، قال لها الطبيب ثم التفت نحو رونالد، واضاف.

«انه ولد مميز، واظن ان هذه لن تكون المرة الأخيرة التي سنراه هنا فيها».

«في هذه الحالة من الأفضل ان اعود واتبرع بالمزيد من دمي» اجابه رونالد وهو يلامس الأنبوب الذي ينقل الدم، فقد لا تجدني دائماً موجوداً هنا».

«انها فكرة جيدة بامكانك الآن ان تنهض».

فتح روبي عينيه. واول شخص كان يبحث عنه والده.

«سامحني لأني صعدت على الصخور بينما كنت قد حذرتني من ذلك يا أبي».

«لا بأس يا روبي، لكن الدرس كان قاسياً، واصبحت تعلم بأنه لا يجب ان تتسلق المرجان».

«لكن هيلين تسلقته» اعترض الصغير.

«هيلين كبيرة ويمكنها ان تتجنب الخطر! والآن نم قليلاً».

«هل ستكون موجوداً الى جانبي عندما استيقظ؟».

نظر رونالد نحو ليزا التي كانت تقف امام السرير من الجهة الأخرى، واجابه.

«سنكون معاً نحن الاثنان هنا، والى جانبك».

ثم غادر الغرفة ولم تنس ليزا بأن روبي التفت اولاً نحو ابيه وليس نحوها ولشدة غضبها اصطدمت بالحائط فأسرع رونالد وأمسكها جيداً، فلمحت في عينيه بعض اليأس والحزن ثم وقعت على الأرض مغمياً عليها.

«ليزا».

انها تعرف هذا الصوت! فتحت عينيها: كيف وصلت الى غرفتها؟ وكان رونالد يجلس بقربها على السرير وينظر اليها بقلق. من الذي بدل لها ملابسها ووضعها في السرير؟ هو؟ وفجأة تذكرت لمساته اللطيفة وهو يبدل لها ملابسها.

«ليزا، هل استيقظت اريد ان اكلمك».

«انا اعلم لقد قلت لي ذلك».

«كان ذلك قبل ان».

«قبل ان تعلم بأن روبي هو ابنك؟».

ان تبدل الاوضاع تركها غير مبالية، مع انها يجب ان تفرح، ولكن لا. كانت وكأنها مخدرة، ترى ما حولها وتفكر بأن عليها ان تقوم بردة فعل، لكنها ظلت صامتة.

«ليزا! لم اكن اعلم.. انا لم اكن اعتقد..».

أدارت وجهها وقالت له.

«هذا لا يهم كي تحب شخصاً يجب احياناً ان تثق به، وهل كان خطأك انك لم تكن تثق بي، فلم ترد ان تتذكر ما

حصل بيننا؟».

«لقد قال لي الدكتور جيمس بأنك الآن تحت تأثير الصدمة، وعليك ان ترتاحي، ولكني بحاجة الى بعض الإيضاحات».

«وماذا ستستفيد؟ لقد اكتشفت ان روبي هو طفلك انت، لكن لا تنسى انني كنت دائماً اعرف هذه الحقيقة بالنسبة لي لم يتغير شيء».

«سنتحدث فيما بعد»، اجابها رونالد ونهض.

الفصل العاشر

بعد خروجه، احست بالنعاس هل تناولت منوماً؟ لم تشعر بالاسترخاء، بعد قليل فتح الباب ودخلت هيلين وهي بكامل اناقتها، والفرح بادياً عليها.

«لا تفرحي كثيراً، لم تربحي المعركة بعد».

تناولت كرسياً وجلست عليه، واضافت.

«اذا كنت تعتقدين ان رونالد سيعود اليك لأنه علم بان روبي هو ابنه، فأنت مخطئة»، ثم توقفت وتركت تنورتها تظهر سيقانها الطويلة وأظافر قدميها المطلية بطلاء جيد، وتابعت.

«ان هذا يسهل امورنا».

«اذا كنت تريدين القول بأن رونالد سيطلب الطلاق فاعلمي بأنه كان حر في ذلك ومنذ خمسة اعوام»، اجابتها ليزا.

«بالتأكيد، لكن والده كان يهمه كثيراً، لقد قرر لايت ان

www.elromancia.com

يقسم ثروته بينكما، اما الآن، فقد اعطى حصتك لروبي وبما ان رونالد هو والده، فان مسألة الطلاق لم تعد تشكل خطراً. وهكذا يكون اصاب عصفورين بحجر واحد. سيجعل لايت يشعر بالسعادة ويرث هو كل ثروته»، ثم ضحكت ساخرة وأضافت.

«كما ترين رونالد يملك الآن كل الأسباب الكافية».

بعد نصف ساعة جاءت ماما كاز وبيدها كوب من العصير وكانت ليزا شاحبة ومنهارة.

«ما بك يا ليزا، ان الصغير بخير لا يجب ان تقلقي عليه».

هل هو حقاً بخير؟ ماذا ستقول ماما كاز اذا علمت بأن رونالد يفكر في ان يحرمها من ابنها؟ لو انها تستطيع فقط ان تحصل على مساعدة لايت! ولكن لا، انه مريض. قررت ان تذهب وترى روبي بنفسها، وتتأكد من ان رونالد وهيلين لم يخفوه، الم يحصل ان خطف احد الوالدين اولادهم؟ ثم اخذت دموعها تسيل بغزارة.

كانت ماما كاز تنظر اليها بقلق. ففتحت الباب وكادت ان تنادي احدهم، لكن رونالد دخل، في هذه اللحظة، هل هو على علم بزيارة هيلين لها؟.

لكنه محتال كبير لن يكشف عن خططه الجهنمية.

«ليزا توقفي عن هذا التصرف، روبي بألف خير».

كانت منهارة ولاحظت نظراته، وكانت تفكر بطريقة تهرب بها مع روبي من هذه الجزيرة وعليها ان تمنع رونالد من ان ينفذ مخططاته مع هيلين لقد استطاعت ان تسلبها

زوجها ولكن لن تسمح لها ان تسلبها ابنها.

كانت تريد ان تشعر بالأمان بين ذراعي رونالد، ولكنها ماذا تنتظر بعد؟ انه لا يريدها، ولم يكن يحبها ابداً، والآن يريد ان يسلبها طفلها.

عندما خرجت هيلين بعد اصرار رونالد على خروجها انصرفت بامتعاض.

«ليزا يجب ان تتكلم».

«عن ماذا؟ ليس لدينا شيء نتكلم عنه».

«لدينا ابننا روبي انه ابني».

«انه ابنك منذ ولادته، ولم تهتم به سابقاً».

لم يجبها رونالد لكنها احست انه يريد ان يقول شيئاً مهماً.

نظر اليها رونالد، واخذ يلامس خدها، ويبعد خصلات الشعر عن عينيها، ثم خرج دون ان يتفوه بكلمة واحدة مما زاد خوف ليزا.

عندما غادر الغرفة، لم تجد القوة على البكاء، لقد سبق لها وذرفت الكثير من الدموع... والآن يجب ان تفكر بوسيلة تغادر بها سان مارتان وبسرعة ولكن كيف؟.

فجأة خطرت على بالها فكرة ستتصل بسانت لويس وتطلب ارسال طائرة خاصة، كما كان يفعل رونالد احياناً، وشعرت ببعض الراحة، انه سيتعذب كثيراً بعد هروبهما، وفي الغد ستذهب الى الطبيب جيمس وتسأله عن حالة روبي الصحية، ولن تسمح لأحد ان يعرف طريقها ابداً.

عندما ذهبت في الصباح الباكر الى المستشفى واسرعت

في رؤية روبي ولكن الطبيب لم يسمح لها ان تأخذه لأنه كان بحاجة لعدة ايام كي تشفى جراحه.

وبعد مرور عدة ساعات وهي تحادث طفلها الصغير عادت ادراجها وهي تتأبط خوفها بين يديها.

عندما وصلت الى مدخل المستشفى السفلي لاح لها رونالد من بعيد، حاولت ان تجعله لا يراها كي لا يرى دموعها وحزنها وهي باكية بهذا الشكل وكي لا يسألها لماذا جئت الى هنا لوحدك ولماذا لم تطلبي مساعدتي.

حاولت ان تقطع الشارع الثاني المزدحم بالسيارات ولكن رونالد كان قد لمحها واسرع خلفها لكي يوقفها ويعرف سبب هزوبها المفاجيء.

ولكن شاء القدر ان ينقذها لآخر لحظة من اصطدام كبير ولكن... كان ان تلقى رونالد الصدمة بقوة مما افقدهما الوعي تماماً.

وجدت نفسها في غرفة المعاينة وهي تسأل عن الذي حدث.

«انه بخير اصيب بخدوش في فخذه، وبصدمة على رأسه، اعتقد انه سيبقى في المستشفى لبضعة ايام.. فقد يكون اصيب بارتجاج دماغي، وهذا قد يسبب احياناً مضاعفات»، قال الطبيب بعد ان اطمأن على حالتها.

«معك حق» اجابته ليزا فهي تعرف جيداً نتائج هكذا ارتجاج فانها وخلال اشهر الحمل الأولى قرأت المجلدات الكثيرة حول هذا الموضوع.

سمح لها الطبيب بزيارة رونالد، وقال لها بأنه تناول حبة

منوم كي يرتاح، فوجدت في ذلك عذراً كي لا تراه، وقالت للطبيب بانها يجب ان تعود الى البيت بسرعة كي تطمئن لايت قبل ان يعلم بالحادث.

عندما عادت ليزا الى المنزل اخبرت لايت بالذي حدث.

وفي اليوم التالي كان اهتمامها منصباً على كيفية الهروب من هنا مع روبي الصغير قبل عودة رونالد.

بينما كانت ليزا تسرع بالسيارة الى المستشفى للعودة بروبي طمأنها الطبيب بأنه بخير وبأنه سيغادر اليوم وبأن رونالد زاره في الصباح.

لاحظت ليزا دهشة الطبيب لأنها لم تسأل عن رونالد لكنها كانت تفكر بوسيلة للهرب، كيف ستحصل على الطائرة يجب ان لا يعلم احد بأمرها ستتصل من المنزل بعد ان تخرج روبي من المستشفى، ولن تأخذ معها حقائب ولا اي شيء آخر وهذا افضل كي لا يشعر احد بهروبها.

ولكنها لا تستطيع ان ترحل دون ان تطمئن على رونالد ولو لنظرة اخيرة فان حبها له اقوى من قوتها.

عندما دخلت الى غرفته كان نائماً في السرير.

«كنت انتظرك منذ عدة ساعات اين كنت؟».

نهض من السرير بسرعة وتوجه بصدره العاري نحوها.

«رونالد يجب ان تلازم السرير ارجوك».

«اذن لا تضطريني ذلك، منذ ان علمت الحقيقة وانت تتهربين مني، اريد ان احدثك، بامكانك الآن ان

تحتقرينني ان تدافعي عن نفسك، عندما صدمتني السيارة عادت الي ذاكرتي، ولا تطلبي مني ايضاحات اكثر، لقد تذكرت كل شيء حتى ادق التفاصيل».

نظرت اليه ليزا رغماً عنها. وعندما رأته عادت اليها المشاعر والحب والحنان، نعم، كانت تنتظر هذه اللحظة التي يعترف بها رونالد بأبوته لروبي.

اقتربت منه ولاحظت ارتعاشه فاحتضنته بذراعيها، وحاولت ان تعيده الى السرير، لكنه رفض ان يتحرك من مكانه، وفجأة امسك رأسها بين ذراعيه وضمه الى صدره.

«لقد تذكرت كل شيء» همس رونالد بأذنها وهو ينزل كتف قميصها، ثم لامست يداه جسدها الدافىء.. وهو يتنهد ويقبلها فأحست بان همومها ذابت كما يذوب الجليد.

«انني اتذكر تلك الليلة.. اتذكر هذا... واتذكر ايضاً.... يا الهي كم ارغب بك، لقد تسببت لك بالآلام المبرحة كان عمرك ستة عشر سنة».

«قد اكون رفضت الذكرى، ولكني كنت اتهمك بأنك عشيقة بيتر، للحقيقة، كنت اشعر بالغيرة منه وكلما كنت اراك معه وانت تتسلين وتمرحين، كنت انا اتألم، وخاصة عندما رأيتكما معاً في عيادته».

«ليزا هل تستطيعين ان تسامحيني انا احبك منذ زمن ولا استطيع ان اتركك الآن».

«كنت... كنت اخاف ان تحرمني روبي انت وهيلين ففكرت ان اهرب معه الآن».

«ماذا يا الهي كنت سأصاب بالجنون لو فعلت هذا انا

احبك منذ زمن بعيد يا صغيرتي والآن تريدين ان تحرميني منك ومن طفلي الصغير».

«انت اردت هذا ولكن الآن كل شيء انتهى ويجب ان نمحي تلك الأيام المظلمة ارجوك رونالد انا لا اطلب منك شيء سوى سعادة روبي وحبك لي».

«وهذا ما سأفعله يا حبيبتي وسأعيش من هذه اللحظة لأجلكما واطلب منك ان تسامحيني بكل قوة حتى يهدأ بالي».

ثم غمرها بقبلاته الحارة وفي هذه اللحظة دخل الطبيب وهو ممسك بيد روبي الصغير ويقول له.

«انظر يا روبي هذه والدتك ووالدك يجب ان تعود معهما الآن الى البيت اعتقد انهما بحاجة لك».

ثم امسك رونالد ليزا من ذراعيها وحضنهما معاً وتوجها نحو حياة سعيدة.